

علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم

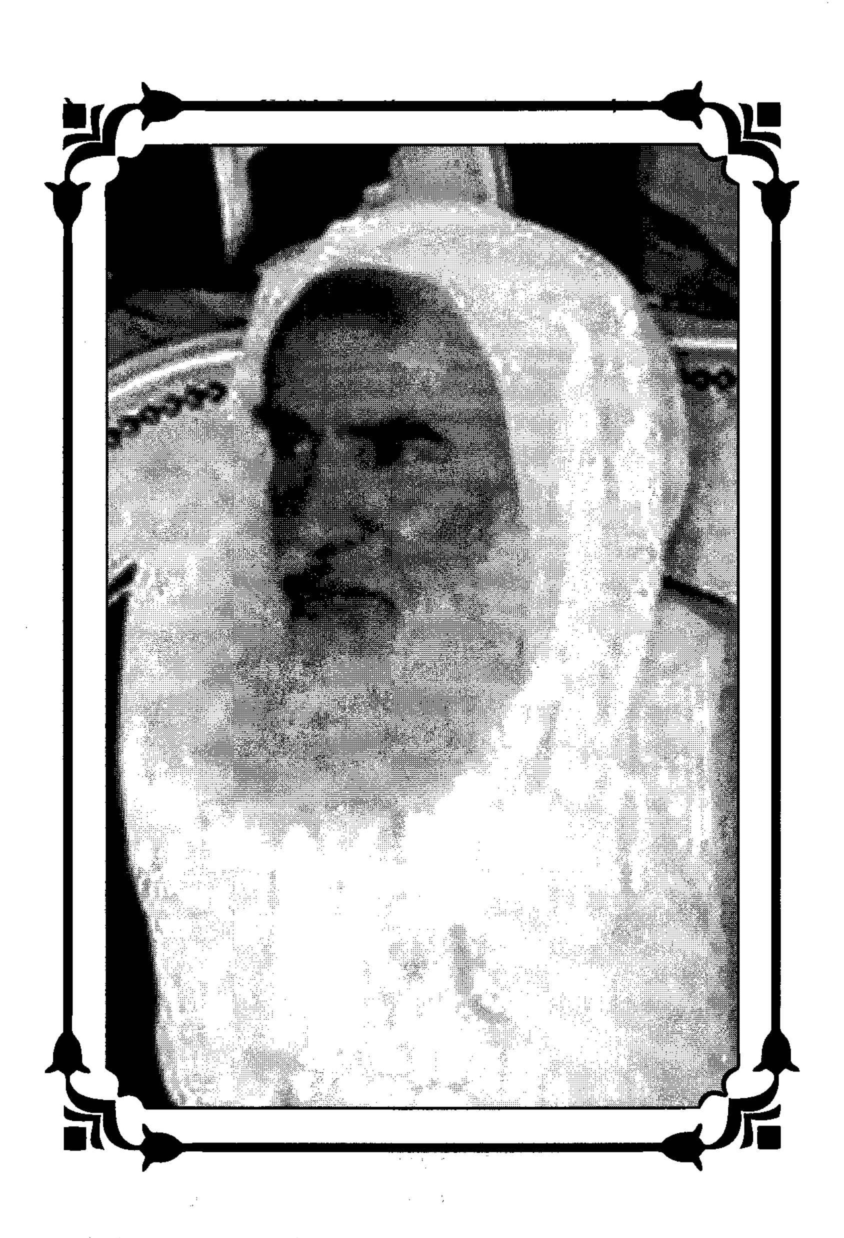
محمد صالح العثيمين

العالم القدوة المربي والشيخ الزاهد الورع

تأليف

إبراهيم محمد العلي   إبراهيم باجس عبد المجيد





محمد صالح العثيمين

الطَّبعَة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٤٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

الدار الشامية - بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

www.alkalam-sy.com

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم



محمد صالح العثيمين

العالم القدوة المربي والشيخ الزاهد الورع

(١٣٤٧-١٤٢١ هـ/١٩٢٧-٢٠٠١ م)

تأليف

إبراهيم محمد العلي   إبراهيم باجس عبد المجيد

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد: فللعلماء في الإسلام أرفع مكانة ، وأجلُّ رتبة ، إذ بهم تُنار الظلمات ، وتندفع الشبهات ، وتنعصم البلاد ، ويستهـدي العباد ، كيف لا ، وهم سدَنةُ الشريعة وحماتها ، ومنارات الهدى وأعلامها.

وإنَّ من فضلهم ما ورد في حديث رسول الله ﷺ؛ حيث قال: «**وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِيْ السَمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيْتَانُ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرَ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِيْنَاراً وَلاَ دِرْهَمَاً ، وإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[1]. وصدق الله إذ يقول: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٢٦٨٢ ، وأبو داود برقم: ٣٦٤١ ، وابن ماجه برقم: ٢٢٣ ، والحديث حسن.

وأيُّ رفعةٍ بعدَ رفعةِ الله ، وأيُّ منْزلةٍ تضاهيها ، أو أي رتبة تدانيها؟! .

ومن رفعه الله فلا خافض له ، ومن أعزّه الله فلا مذلَّ له ، وليس العالم هو مَنْ يستظهر المتونَ في كلِّ علم ، أو يجيدُ النظم في كلِّ فنٍّ ، وإنَّما العالم مَنْ كان ربانياً ، قائماً لله قلباً وقالباً ، جوهراً ومعنًى ، كمّاً وكيفاً ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

والعلماءُ زينةُ الأرض ، وهم رجومُ الشياطين ـ الذين يخلطون الحقَّ بالباطل ، والذين يُدْخِلون في الدين ما ليس فيه ـ وإنَّما مَثَلُ العالِمِ كمَثَلِ الماءِ والغيثِ ، فإنَّ انتفاعَ الناس بهما غيرُ محدودٍ بحدٍّ .

وكما قال ميمون بن مهران رحمه الله : إنَّ مثلَ العالمِ في البلدِ كمثلِ عينٍ عذبةٍ في البلدِ .

بل قال بعض الحكماء : مثَلُ العلماءِ مثلُ الماء ، حيث ما سقطوا نفعوا ، وليس للناس عِوَضٌ البتةَ عن العلماء ، إلا أن يكونَ لهم عِوَضٌ عن الشمس ، والعافية للأبدان .

والعلماء ورثةُ الأنبياء ، وقدوةُ الصلحاء ، هم في الأرض كالنجوم في السماء ، والضياء في الظلماء ، والدواء للداء ، يدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ويحيون بكتاب الله الموتى ، هم خيرُ الناس للناس ، وأرحمُ الناس بالناس ، قد رفع الله لهم قدراً ، وأعظم لهم أجراً ، ونشر لهم ذكراً .

حياةُ العالم حياةٌ للأمة ، وبقاءٌ لها ، وعزٌّ لسلطانها ، وسيادةٌ لحضارتها ، ورفعةٌ لشأنها ، وإعلاءٌ لمكانتها ، وإنَّ فَقْدَ العالِمِ رزيةٌ ، وموتَ الفقيه بليةٌ ، فإذا رحل عن الدنيا عالم عامل فقد جُرِحت الأمةُ في قلبها ، وأصيبت في مقتلها ؛ فقد جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ

الْعَاصِ ، قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً ، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[١].

ولقد قال الشاعر مبيِّناً أهمية العلماء:

إذا مـاتَ ذو علـمٍ وتقـوى ... فَقَـدْ ثُلِمَـتْ مِـنَ الإِسْـلَامِ ثُلْمَـه
وموتُ الْحَاكِمِ العَدْلِ الْمُوَلَّى ... بحكـمِ الأرضِ مَنْقَصَـةٌ وَنِقْمَـه
ومـوتُ فتًى كثيـرِ الجودِ مَحْـلٌ ... فَـإِنَّ بقـاءَهُ خِصْـبٌ وَنِعْمَـه
ومـوتُ الْعَـابِـدِ القَـوَّامِ ليـلاً ... يُنَـاجِـي ربَّـه فـي كُـلِّ ظُلْمَـه
ومـوتُ الْفَـارِسِ الضِّرْغَـامِ هَـدْمٌ ... فكـم شَهِـدَتْ لـه بـالنَّصْـرِ عَـزْمَـه
فَحَسْبُـكَ خمسـةٌ يُبْكَـىٰ عليهـم ... وباقي الناسِ تَخْفِيْفٌ ورَحْمَه[٢]

وقد عهد إليَّ الأستاذ الفاضل والأخ الحبيب محمد علي دولة ، حفظه الله ورعاه ، صاحبُ دار القلم العامرة ، أنْ أسهم بالتعريف بعلماء هذا العصر ، رغبةً منه في نشر فضائلهم ومحاسنهم ، وتعريفِ الجيل بمآثرهم ، مع نخبة من الأساتذة الفضلاء ، فاستجبت له شاكراً لحسن ظنِّه بي ، فكان الكتاب الأول الذي كتبته عن المحدِّث العلاَّمة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى ، ثم كان هذا الكتابُ عن **الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ**، أحد كبار علماء العالم الإسلامي في هذا العصر ، من الذين خدموا الدعوة الإسلامية بالتدريس والخطابة ، والتأليف ، والمحاضرات في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي الشريف ، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في عام ١٤١٤هـ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ١٠٠ ، ومسلم برقم: ٢٦٧٣.
(٢) مجلة الدعوة: ١٧٧٧ ، ص٦٦.

والشيخ - رحمه الله - عاش حياةً كلَّها جِدٌّ وعملٌ ، وفِكر وعلم ، ودَرْسٌ وتحصيل ، وأعمال مفيدة ، نذر حياته العلمية لخدمة الإسلام ، وتصحيح المفاهيم ، ومحاربة البدع والخرافات.

وقد قمت بجمع هذه الرسالة الموجزة وفقاً للخطة الموضوعة لسلسلة «علماء ومفكرون معاصرون» في فصلين :

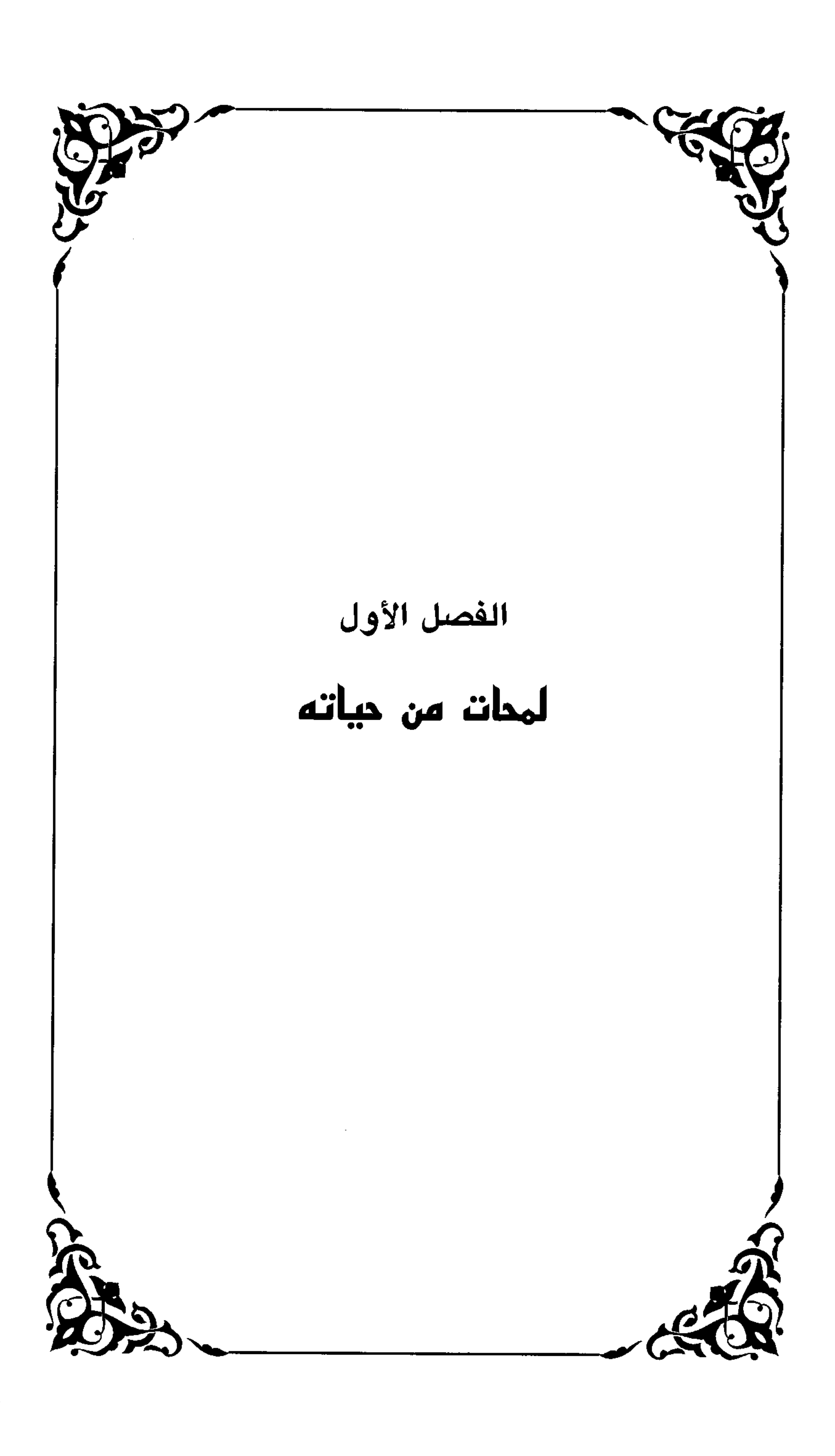
الفصل الأول : **لمحات من حياته.**

الفصل الثاني : **تعريف بمؤلفاته.**

سائلاً الله تعالى أن يغفر لي خطأي ، وأن يجعل هذا الجهدَ في ميزان أعمالي يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عمان - الأردن : ١٠ رجب ١٤٢٤هـ

٧ أيلول ٢٠٠٣ م **إبراهيم محمد العلي**



الفصل الأول

لمحات من حياته



اسمه نسبه:

هو الشيخ العلاَّمة المفسِّر الفقيه المحدِّث الفرضي أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهبي التميمي ، ينحدر نسبه إلى قبيلة بني تميم المشهورة.

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ ـ رحمه الله ـ في مدينة عُنيزة ، إحدى مدن منطقة القصيم ، في السابع والعشرين من شهر رمضان من عام ١٣٤٧هـ= ١٩٢٧م ، ونشأ في أسرة محافظة معروفة بالاستقامة والتديُّن ، وقد بدأ بقراءة القرآن الكريم على جدِّه لأمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ حتى أتمَّ حفظه.

ثم بعد ذلك اتَّجه إلى طلب العلم ، وبدأ يتعلَّم الخط والحساب ، وبعض فنون الأدب.

وقد ظهرت عليه أماراتُ النبوغ والذكاء ، وصاحَبَ ذلك هِمَّةٌ وحرص ، وجِدٌّ واجتهاد ، جعله يحصِّلُ أضعاف ما يُحصِّلُ أترابه وزملاؤه في مثل سنِّه.

وقد اعتنى به شيخُه العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ عنايةً خاصَّةً ، حيث عهد إلى اثنين من كبار تلاميذه ، وهما الشيخ علي الصالحي ، والشيخ محمد بن عبد العزيزالمطوع ، لتعليم صغار التلاميذ ، فقرأ الشيخ محمد عليهما بعضَ المختصرات من كتب الشيخ ابن سعدي رحمه الله مثل «مختصر العقيدة الواسطية» ، و«منهاج السالكين» في الفقه ، و«الآجرّومية» و«الألفية» في النحو والصرف ، وقد نوَّعَ مقروءاته

من العقيدة والفقه والنحو وغيرها من العلوم[1].

وقد حفظ الشيخ رحمه الله كتابَ الله في سنٍّ مبكرة ، وقبل أن يتجاوز الخامسة عشر من عمره كان يحفظ ـ بالإضافة إلى كتاب الله ـ «زادَ المستقنع» و«ألفية ابن مالك» كما أخبر هو بذلك عن نفسه.

وقد جدَّ الشيخ رحمه الله ونشط في طلب العلم على قِلَّةِ ذات اليد في ذلك الزمان ، واستمعَ إليه يتحدّثُ عن نفسه ، حيث يقول:

«إنَّه كانَ لا يملكُ من الكتب إلا «الروض المُرْبِع» يقرأُ فيه في غرفة من طين ، تطلُّ على زريبة بقر! .».

وهكذا نشأ الشيخ رحمه الله بين أحضان العلماء ، ولازم حلقاتِهم ، وأسندَ ركبتيه إلى ركبهم ، فأدرك ـ وهو في سِنٍّ مبكرة ـ الشيءَ الكثير.

أسرته:

للشيخ ـ رحمه الله ـ زوجة واحدة ، وله من الأولاد خمسة ذكور ، هم: عبد الله ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، وعبد العزيز ، وعبد الرحيم ، بالإضافة إلى ثلاث بنات.

وله ـ رحمه الله ـ أخوان هما: الدكتور عبد الله بن صالح بن عثيمين ، عضو مجلس الشورى ، والأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية ، والشيخ عبد الرحمن ، الذي أوقف نفسه للعناية بتراث أخيه صاحب الترجمة ، وجمع كتبه وفتاويه ودروسه العلمية ، وطباعتها ونشرها بين طلبة العلم.

---

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص٢٠ ، وصفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار ص١٠٠ ، ومجلة الشقائق عدد: ٤١ ص١٧ مقابلة مع الشيخ ابن عثيمين.

حياته العلمية:

عاش الشيخ ـ رحمه الله ـ حياةً حافلةً بالعلم والتعليم ، وبعد أن جلس إلى علماء عُنيزة وأخذ عنهم ، سافر إلى الرياض لطلب العلم ، وذلك حين فتحت المعاهد العلمية عام ١٣٧٢هـ ، فالتحق بها ، يقول الشيخ عن نفسه :

«بعد أن فُتِحَت المعاهد العلمية دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية ، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي ، وبعد أن استأذنتُ من الشيخ عبد الرحمن السعدي ، رحمه الله ، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسِمُ إلى قسمين: خاص وعام ، فكنت في القسم الخاص ، وكان في ذلك الوقت مَنْ شاء أن يقفز ـ بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ، ثم يختبرها في أول العام الثاني ، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها ، وبهذا اختصرت الزمن ، ثم التحقت بكلية الشريعة في الرياض انتساباً ، وتخرجت فيها»[١] .

شيوخه:

أخذ الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ العلم على يد مشايخ أجلاء في مدينتي عُنيزة والرياض منهم :

١ ـ الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ، المتوفى عام ١٣٧٦هـ ، أحد العلماء الكبار ، وصاحب التفسير المعروف بـ «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ، وصاحبُ المؤلّفات

---

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص٢ ، وصفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار ص٢١ ، وغيرهما.

الكثيرة في الفقه وأصوله ، وقواعده ، وفي العقيدة ، وغيرها من الكتب النافعة.

كانت حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ جهاداً متواصلاً بالدعوة ، والكتابة ، والتأليف ، تتلمذَ على يديه مئاتُ الطلاب ، وعلماء بارزون ، يشكلّون ركائزَ الحركة العلمية ، وأصبح بعضُهم من كبار علماء المملكة في هذا الوقت ، وقد تعلّم على يديه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، ولازمه مدةً طويلةً ، ينهل من علمه ويتدرب على يديه.

يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«إنني تأثرتُ به كثيراً في طريقة التدريس ، وعرض العلم ، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني ، وكذلك أيضاً تأثرتُ به من ناحية الأخلاق الفاضلة ، وكان ـ رحمه الله ـ على قدره في العلم والعبادة ، يمازِحُ الصغير ، ويَضْحَكُ إلى الكبير ، وهو ـ ما شاء الله ـ من أحسن من رأيت أخلاقاً».

وقد قرأ الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ على شيخه عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ التوحيدَ ، والتفسيرَ ، والحديثَ ، والفقهَ ، وأصولَ الفقه ، والفرائضَ ، ومصطلحَ الحديث ، والنحوَ ، والصرفَ ، ولازمه ملازمةً قويةً ، وكان ممّا قرأه عليه: «مختصر العقيدة الواسطية» و«منهاج السالكين» في الفقه وكلاهما للشيخ السعدي ، و«الآجرومية» ، و«الألفية» ، و«قطر الندى وبلُّ الصدى» في النحو لابن هشام ، وفي «زاد المستقنع في اختصار المقنع» ، وغيرها.

وكانت للشيخ ابنِ عثيمين ـ رحمه الله ـ مكانةٌ عظيمةٌ عند شيخه ، ظهرت آثارها في إعداده وتهيئته لتحمُّل مسؤولية شيخه من بعده ، وكانت فراسةُ شيخِه فيه صائبةٌ ، حيث خلَّفه في إمامة الجامع الكبير ، والقيام على المكتبة والتدريس.

ومن مظاهر اهتمام الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ بابن عثيمين هذه الحوادث:

الأولى: أنّه حين ارتحل والد الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ وإخوانه إلى الرياض للبحث عن سبل العيش بالتجارة، واصطحبوا معهم أبناءهم، وأكبرهم الشيخ محمد رحمه الله، افتقده الشيخ السعدي، فطلب من والد الشيخ محمد إبقاءَ ابنه محمد عنده في عُنيزة لطلب العلم، وقال له فيما قال: «نريدُ محمداً يبقى عندنا في عُنيزة ليواصل الدراسة والطلب».

فاستجاب أبوه لِمَا رأى من رغبة ابن عمّه الشيخ السعدي الملحّة، واستعداد ابنه الشيخ محمد العلمي، وتوجُّهه نحو الطلب.

الثانية: كانت في آخرَ حياة السعدي ـ رحمه الله ـ لَمَّا وَجَّه بتولِّي تلميذه النجيب البار ابن عثيمين الإمامة والخطابة والتدريس بعده في الجامع الكبير، وهذا ما تمَّ بالفعل في جمادى الآخرة من عام ١٣٧٦هـ، وإلى أن قضى الله قضاءه بالحق بموت الشيخ ابن عثيمين في عام ١٤٢١هـ[(١)].

٢ ـ سماحة الشيخ العلاَّمة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ، المفتي العام للملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

حينما انتقل ابنُ عثيمين إلى الرياض للدراسة النظامية درس على العلاَّمة الشيخ ابن باز، وهو شيخه الثاني بعد السعدي ـ رحمه الله ـ وقد قرأ عليه «مقدمة في التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقطعة من «صحيح البخاري»، وبعض كتب الفقه.

---

(١) الدعوة: العدد ١٧٧٩، ١٤ ذو القعدة ١٤٢١، ص٥٣، مجلة الحكمة العدد الثاني: ص٢١، وصفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار ص١٤.

وكان الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ يثني على شيخه ابن باز خيراً في حياته ، وبعد وفاته . وكثيراً ما كان يقول في دروسه :

«**وهذا رأيُ شيخنا الشيخ عبد العزيز**» وكان يقول عنه أيضاً :

«**لقد تأثرتُ بالشيخ عبد العزيز بن باز من جهةِ العنايةِ بالحديث ، وتأثرتُ به من جهة الأخلاق أيضاً ، وبَسْط نفسه للناس**»[١] .

٣ ـ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ـ رحمه الله ـ المتوفى عام ١٣٩٣م . اللغوي المفسّر المشهور ، صاحب تفسير «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» . دَرَسَ عليه الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في المعهد العلمي بالرياض ، واستفاد منه فائدةً عظيمةً في دقّة الاستنباط ، وغزارة العلم ، وبسط المسائل ، يقول عنه الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ :

«**كنّا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض ، وكنّا جالسينَ في الفصل ، فإذا بشيخ يدخل علينا ، إذا رأيتَه قلتَ : هذا بدويٌّ من الأعراب ، ليس عندَه بضاعةٌ من علمٍ ، رَثَّ الثيابِ ، ليس عليه آثارُ الهيبة ، لا يهتمُّ بمظهره ، فسقط من أعيننا ، فتذكَّرتُ الشيخَ عبدَ الرحمن السعدي ، وقلتُ في نفسي : أتركُ الشيخَ عبد الرحمن السعدي ، وأجلسُ أمام هذا البدوي . فلمَّا ابتدأ الشنقيطيُّ درسَه ، انهالت علينا الدُّرَرُ من الفوائد العلمية مِنْ بحرِ علمِهِ الزاخِرِ ، فعلمنا أننا أمامَ جهبذٍ من العلماء ، وفَحْلٍ من فحولهم ، فاستفدنا من علمه ، وسَمْتِه وخُلقِهِ ، وزهدِهِ ، وورعه**»[٢] .

---

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني : ص ٢١ ، ٢٢ ، وصفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار ص ١٥ ، ومجلة الشقائق عدد ٤١ ، ص١٧ في مقابلة مع الشيخ ابن عثيمين .

(٢) مجلة الحكمة العدد الثاني : ص ٢٢ ، وصفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار ص ١٥ ـ ١٦ ، وغيرهما .

٤ ـ **الشيخ علي بن أحمد الصالحي**: كان يعلِّم صِغارَ طلاب الشيخ السعدي ، وقد درس عليه ابن عثيمين بعض العلوم.

٥ ـ **الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رحمه الله**: قرأ عليه الشيخ ابن عثيمين «مختصر العقيدة الواسطية» ، و«منهاج السالكين» ، في الفقه؛ كلاهما لشيخه السعدي. كما قرأ عليه «الآجرومية» و«الألفية» في النحو والصرف.

٦ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان رحمه الله**: قرأ عليه الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ بعض كتب الفقه ، وقرأ عليه في الفرائض والمواريث.

٧ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله**: جدُّ الشيخ ابن عثيمين لأمه ، وقد قرأ عليه القرآن الكريم حتّى أتمَّ حفظَه[١].

أعمالــــه:

دَرَس الشيخ ـ رحمه الله ـ في معهد الرياض العلمي ، وبعد تخرُّجه درَسَ في كلية الشريعة بالرياض منتسباً ، وعاد إلى عُنيزة ليدرّس في المعهد العلمي الذي افتتح فيها ، ثم لما فُتِحَ فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم انتقل الشيخ العثيمين للتدريس فيه في كلية الشريعة وأصول الدين ، وأصبح عضواً في مجلس الكلية ما يزيد عن عشرين عاماً ، ثم عُيِّن عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية. وتوفي رحمه الله وهو يشغل هذا المنصب ، بالإضافة إلى التدريس في فرع الجامعة ، وخطابة المسجد الجامع الكبير في عُنيزة.

وكان للشيخ ـ رحمه الله ـ إسهام متميّز في جمعيات تحفيظ القرآن

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص ٢٢ ـ ٢٣ ، وصفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار ص ١٦ ، وغيرهما.

الكريم في عنيزة ، حيث تابع نشاطها ، ورسم منهاجها ، وتفاعل مع الطلاب والعاملين فيها ، فجزاه الله عن الجميع خيراً.

١ ـ رفضه تولي القضاء:

عرض عليه سماحةُ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ مفتي المملكة العربية السعودية تولِّي القضاء ، وألَحَّ عليه في ذلك ، بل أصدر قراراً بتعيينه رئيساً للمحكمة الشرعية بالأحساء ، لكنَّ الشيخ ابن عثيمين رحمه الله طلب منه الإعفاء ، وبعد مراجعات واتصال شخصي سمح المفتي بإعفائه من منصب القضاء ، وتولّي التدريس في معهد عنيزة العلمي[١].

٢ ـ جلوسه للتدريس:

جلس الشيخ للتدريس سنة ١٣٧١هـ في حياة شيخه السعدي ـ رحمه الله ـ، واستمرّ على ذلك إلى وفاته في ١٥/ ١٠/ ١٤٢١هـ ، أي أنه أمضى خمسين عاماً كلُّها جهادٌ وكفاحٌ في تعليم الناس ، وتوجيههم ودلالتهم على الخير.

وقد تنوّعت دروس الشيخ ـ رحمه الله ـ في مختلف العلوم الشرعية ، والعربية ، والسيرة النبوية ، وتوافد إليه الطلاب من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، واعتنى رحمه الله بطلابه عنايةً فائقةً ، وهيأ لهم الجوَّ العلمي المناسب ، فأقبل الطلاب على دروسه ولازموها ، وتخرَّج من هذه الحلقات مئات الطلاب ، واستمرَّ كثيرٌ منهم يطلبون العلم على يد الشيخ إلى وفاته ـ رحمه الله ـ.

---

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص ٢١ ، وصفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار ص ١١ ، وغيرهما.

٣ـ تأثره بمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وشيخه ابن سعدي:

لقد تأثّر الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ بطريقة شيخه العلاَّمة عبد الرحمن السعدي رحمه الله التي انتهجها؛ حيث قال ـ رحمه الله ـ:

«لقد تأثرتُ كثيراً بشيخي عبد الرحمن السعدي في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني».

وقد سلك الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ منهجاً خرجَ به عن المألوف مِمَّا سار عليه علماء الجزيرة العربية عامةً، وعلماء نجد على وجه الخصوص، من حيث اعتمادهم على المذهب الحنبلي في فروع المسائل الفقهية؛ **فكان الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ معروفاً بخروجه عن المذهب الحنبلي، وعدم التقيّد به في مسائل كثيرة.**

فقد كان الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يتبنَّى آراء شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ويرجِّحهما على المشهور في المذهب، فقد كان متجرّداً للحق، ولا يقبل الجمود على مذهب معين[١]. وقد انتقلت هذه الصفة منه إلى تلميذه ابن عثيمين رحمهما الله.

وقد استفاد الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ من هذه الخصيصة التي امتاز بها شيخه السعدي، وتأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وخصوصاً طريقته العلمية في الحرص على بناء الأحكام على الأدلة، ومحاولة ربط الأقوال الفقهية بالنصوص الشرعية، لذلك لا تجد في فتاوي الشيخ ابن عثيمين قولاً لا يستند إلى دليل.

وأمر آخر، وهو أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية كان مع حرصه على ربط الأحكام بالأدلة، لا يهدر الفقه المذهبي، أو المدارس الفقهية التي لا بد

(١) انظر: مجلة البيان، العدد ١٦٠، ص ٥٩ ـ ٦٠.

للطالب أن يرجع إليها ، ويستفيدَ منها ليبني علمه على أصول. وهذا ما كان عليه الشيخ ابن عثيمين[1].

وعن تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله وغيرهما من العلماء السابقين قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«الإنسان يقرأ ويتأثّر ، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر ، فالذي أرى أنَّه يتأثر القارئ بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ فإنَّ له تأثيراً قوياً بالنسبة لإيمان العبد ، ومعرفته بأسرار الشريعة ، وبالنسبة لقوة الحجة والإقناع والدفاع ، ولذا أنا أنصحُ كلَّ مَنْ يريدُ الوصولَ إلى الحق من منبعه الصافي أن يقرأَ في كتب هذا الإمام؛ لأنَّه حقاً إمامٌ ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وكذلك تلميذه ابن القيم ، أسلوبه وإقناعه يأخذُ بألباب قارئيه ، لكنِّي قد أتأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم ، مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي.

كذلك تأثرتُ بتلميذه ابن مفلح صاحب «كتاب الفروع» في مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ لأنَّ له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدلُّ على عمق معرفته بالشريعة.

وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا؛ لأنه جيّدٌ في عرض المسائل ، وإن كان عليه بعض الأخطاء ، وجَلَّ مَنْ لا يخطئُ ، فهو على كلِّ حال له أثرٌ في منهجي، في تحقيقه للمسائل وما أشبه ذلك»[2].

ولم يكن تأثر الشيخ ابن عثيمين ، ـ رحمه الله ـ بشيخه السعدي رحمه الله ، وبشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله نابعاً من هوًى

---

(١) مجلة الشقائق عدد: ٤١ ص ٢١.
(٢) مجلة الدعوة ، العدد: ١٧٧٦ ، ص ١٣ ، آخر حوار مع الشيخ.

أو تقليد أعمى ، بل كان متجرِّداً للحق أيضاً ، فحيثما وَجَدَ الحقَّ فهو ضالته ومطلبه ، ولذلك لم يمنعه هذا التأثر من أن يخالفهم في مسائل كثيرة وفقاً لما ترجَّح لديه من أدلة ، فلم تمنعه المحبة لهم من الجهر بالمخالفة لأقوالهم ، مما يدلُّ على استقلالية شخصيته ، رغم أن بعض المسائل التي خالف فيها شيخَ الإسلام ابنَ تيمية قد يكون الحقُّ فيها مع شيخ الإسلام ، وهذه المخالفةُ لم تكن نابعةً عن هوًى أو سوءِ نية ، أو عدم توفّر الكفاءة العلمية ، أو عدم الدقة في فهم النصوص.

وكل ما خالف به الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ مَنْ هم أعلمُ منه ، له حظ وافر من النظر فيها ، وما كان كذلك ، فلا حرجَ في المخالفة.

وسأذكر تالياً بعض المسائل مِمَّا خالف به الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على سبيل التمثيل فقط ، وإلا فالأمثلة كثيرة:

١ ـ يرى **شيخ الإسلام** أنَّ المتمتع[١] في الحج يكفيه سعيُ العمرة عن سعي الحج.

ويرى **الشيخ ابن عثيمين** أن سعيَ العمرة لا يكفي عن سعي الحج.

٢ ـ يرى **شيخ الإسلام** جوازَ سفر المرأة بلا محرم مع الأمن.

ويرى **الشيخ ابن عثيمين** عدمَ جواز سفر المرأة بلا محرم مطلقاً.

٣ ـ يرى **شيخ الإسلام** أنَّ المأمومَ تكفيه قراءةُ إمامه في الصلاة الجهرية ، وهو المذهب.

ويرى الشيخ ابن عثيمين وجوبَ قراءة الفاتحة على المأموم في الجهرية[٢].

---

(١) كذا في الأصل ولعلها (القارن) فإنّ فيه الخلاف ، هل يسعى سعياً واحداً للعمرة والحج أم يسعى مرتين؟ (ن).

(٢) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص٣٠ ـ ٣٢ بتصرف يسير.

٤ ـ طريقته في التعليم:

لقد أثّر الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ في تلميذه ابن عثيمين كثيراً ، وخاصّةً في طريقة تعليمه التي كانت تخالِفُ المألوفَ مِمَّا كان عليه علماء نجد في ذلك الزمان ، والتي اتَّبعت طريق الإلقاء والسماع فقط ، حيث كان الشيخ السعدي يعتمد أسلوبَ الإلقاء والمناقشة مع تلاميذه . وفي ذلك قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ عنه :

«كان شيخنا العلاَّمة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ يدرّبنا على الإلقاء والمناقشة ، وفهْم المسائل بدقة ، وذلك بوضع مناقشة بيننا ، يجعل طالباً يتبنى قولاً لأهل العلم ، وآخر يتبنى القول الآخر ، ثم يناقش كلٌّ منهما صاحبه بحضور بقية الطلاب ، ليتبيّن القول الراجح من عدمه ، مع الاستفادة من ذكاء وقدرة بعض الطلاب على إيراد بعض الاعتراضات ، والمناقشة وحصر الأدلة ، وذلك تحت توجيه وتسديد شيخنا ، وقد استفدت من ذلك كثيراً»[1] .

وقد سلك الشيخ ابن عثيمين منهج شيخه السعدي حيث يقول :

«إنني تأثرتُ به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني» .

وقد عُرف عن الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أسلوبُه المتميِّز في التعليم ؛ فهو يوصل المسألة بأسهل طريق إلى المتعلِّمين والسامعين .

ولا يكاد يغيبُ ذهنُ الواحدِ من الجالسين في درسه حتى يوقفَه الشيخ ليجيبَ على سؤال ، أو ليعيدَ آخِرَ كلام قاله . وكان هذا ديدنُه ـ رحمه الله ـ

---

(١) مجلة الشقائق عدد ٤١ ص ٧١ ـ ٨١ مقابلة مع صاحب الترجمة.
قلت: وهذه الطريقة سنّها الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى بين تلاميذه (ن).

في جُلِّ دروسه الخاصة والعامَّة ، حتى تلك التي يحضرها الجمُّ الغفيرُ من طلبة العلم وعوامِّ الناس. وقد رأيتُ مثل ذلك منه ـ رحمه الله ـ، حتى في دروسه التي كان يلقيها في مسجد الخَيف بمِنًى في مواسم الحج ، والتي يحضرها ما لا يُحصى من الحجيج من مختلف الأمصار والأقطار.

وعُرفَ عنه أيضاً استخدام طريقةِ السؤال والجواب ـ لا السرد ـ وهي طريقة نافعة تحيي المجلس ، وتجعل الطالب دائم التحضير والمتابعة؛ إذ إنه يبقى دائم الترقب في كلِّ لحظة ، منتظراً أن يوجَّه له سؤال ما في موضوع الدرس.

ويعطي الشيخ ـ رحمه الله ـ الدرس حقَّه ومستحقه من الشرح والبيان ، ولا ينتقلُ بالطالب إلى موضوع جديد حتى يكونَ قد فهم ما مضى.

وحتى ترسخَ الفكرةُ في أذهان طلبته ، فإنَّه يعيدُ عليهم في الدرس التالي ـ بطريقة السؤال والجواب ـ ما أخذوه في الدرس الماضي ، وهكذا يتأهّبُ الطالب لدرس اليوم ، ويعيدُ قراءةَ ما سَلَفَ مِنَ الدروس الماضية.

ويتلخَّص منهجُه مع طلابه في النقاط الآتية:

أ ـ **تكليفهم ببعض المسائل** ، تشجيعاً لهم ، وتدريباً على الاستنباط ، والاستفادة والممارسة العملية.

ب ـ **عدم فرض رأيه على طلابه** ، حتى في اختيار الكتاب ، وتقديم الدرس ، أو تأخيره ، أو البدء بالمتن الفلاني وهكذا. وكثيراً ما كان يقدِّم رأيَ الطالب على رأيه. وفي هذا تعويد للطلاب على لزوم الحق ، وليس في ذلك غضاضةٌ على الشيخ ، بل يدل على تواضعه ، وإشراكه طلابَه معه في الرأي.

ج ـ **تدريب الطلاب على الكلام بحضور الشيخ** ، فيلقي الطالب على زملائه وهم مستعدون لإبداء الملحوظات على الطالب ليكونَ في ذلك

تدريبٌ للطالب على الإلقاء ، وتدريبٌ لإخوانه الآخرين على إبداء الرأي والملحوظة الهادفة .

د ـ **إسنادُ بعض الدروس لبعض طلابه تدريباً لهم** ، وشحذاً لهممهم ، وتهيئةً لهم لنفع الناس .

٥ ـ ميزات دروس الشيخ:

أ ـ **العناية بعلوم الشريعة** : من تفسير ، وحديث ، وعقيدة ، وفقه ، وأصول الفقه ، وفرائض ، وغيرها .

ب ـ **كثرة المراجعة والتكرار** للأبواب والفصول ، ليكون ذلك أوعى لثباتها عند الطلاب .

جـ ـ **العناية بالمتون** ، وشرحها ، وتوضيحها ، وتقريبها للمتعلمين .

د ـ **استغلال الوقت** ، والحرص عليه ، وعدم تضييعه فيما لا ينفع .

هـ ـ **العناية بالدليل وصحته** ، وبناء الحكم عليه ، والاستنباط منه .

و ـ **الترجيح في معظم المسائل** التي تمرُّ في الدروس ، وبيان وجه الترجيح من المنقول أو المعقول .

ز ـ **المهارة** الفائقة التي وهبها الله له في **تفتيق الحُجَجِ** ، ومداورة البراهين ، **وفتح أفق النظر والتأمل** .

٦ ـ كتب شُرِحَت في دروسه:

وللشيخ ـ رحمه الله ـ شروح لكتب كثيرة ؛ سواء كانت هذه الكتب من تأليفه أو من تأليف غيره .

ومن هذه الدروس والشروح ما تكرر أكثر من مرة ، وأورد هنا بعضاً من الكتب التي قام الشيخ رحمه الله بشرحها في دروسه العلمية ، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً عند ذكر مؤلفاته في الفصل الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فمن الكتب التي شرحها الشيخ :

١ ـ تفسير الأجزاء الأخيرة من القرآن الكريم.

٢ ـ تفسير بعض السور من القرآن الكريم؛ مثل سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والأحزاب، وسبأ.. وغيرها، بطريقة التفصيل، واستنباط الفوائد والأحكام.

٣ ـ شرح «الأصول من علم الأصول».

٤ ـ شرح «زاد المستقنع».

٥ ـ شرح أبواب من «صحيح البخاري».

٦ ـ شرح أبواب من «صحيح مسلم».

٧ ـ شرح «ألفية ابن مالك».

٨ ـ شرح «الآجرّومية».

٩ ـ شرح «العقيدة السفارينية».

١٠ ـ شرح «كتاب التوحيد».

١١ ـ شرح «العقيدة الواسطية».

١٢ ـ شرح «التدمرية».

١٣ ـ شرح «الحموية».

١٤ ـ شرح «البيقونية».

١٥ ـ شرح «نخبةَ الفِكر».

١٦ ـ شرح «بلوغ المرام».

٧ ـ كتب حُفِظت في دروسه:

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ يركِّز كثيراً على حفظ المتون، ويطالب تلاميذه بمتابعة الحفظ في كل درس، وكان ينكر على من يحضر دروسه ولا يلتزم الحفظ، ومن الكتب التي كانت تُحفظ في درس الشيخ ـ رحمه الله ـ:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ «**زاد المستقنع**» في فقه الإمام أحمد رحمه الله.

٣ ـ «**بلوغ المرام من أدلة الأحكام**» للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

٤ ـ «**كتاب التوحيد**» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٥ ـ منظومة «**العقيدة السفارينية**» في العقيدة.

٦ ـ «**العقيدة الواسطية**» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٧ ـ «**المنظومة البرهانية**» في علم المواريث.

٨ ـ «**ألفية ابن مالك**» في علمي النحو والصرف.

٩ ـ «**الآجرّومية**» في علم النحو، ونظمها للعمريطي، كلاهما فرغ من حفظهما.

١٠ ـ «**نزهة النظر في مصطلح أهل الأثر**»، للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

١١ ـ «**المنظومة البيقونية**» في علم مصطلح الحديث[١].

٨ ـ تنوّع طرق توصيله العلم للناس:

وقد بذل الشيخ ـ رحمه الله ـ جهداً عظيماً ومتنوعاً في التعليم؛ ومن ذلك:

أ ـ الإمامة والخطابة في الجامع الكبير بعُنيزة، لمدة ٤٥ عاماً، وتعليم أهل ذلك الجامع ومن يأتيه من طلبة العلم من خلال الدروس العلمية التي يعقدها يومياً.

---

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص٣٣، صفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار: ص١٣ ـ ١٤ وغيرها من المصادر.

ب ـ **التدريس النظامي في الجامعة يعلِّم الطلبة.**

ج ـ **التدريس في مواسم الخير ـ مثل الحج والعمرة ـ في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي** ، فيعلِّم الناس الذين يفِدون من جميع بلدان العالم ، وكان مواظباً على دروسه في المسجد الحرام على مدى الخمسة والعشرين عاماً التي سبقت وفاته ـ رحمه الله ـ، وكانت دروسه ومجالسه العلمية تندرِجُ ضمن الدروس التي تنظِّمها إدارةُ الوعظ بالحرم المكي لأعضاء هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء.

ففي منتصف الثمانينيات من القرن الرابع عشر الهجري كانت البداية الأولى للشيخ ابن عثيمين في إلقاء دروسه بالمسجد الحرام ، ومنذ ذلك الوقت أصبح له موقعه المعروف بالدور الثاني فوق باب أجياد. وبقي مستمراً في إلقاء دروسه في شهر رمضان المبارك من كل عام ، وكذلك خلال أيام موسم الحج ، حتى أصابه المرض. ورغم الحالة الصحية الحرجة التي وصل إليها ، إلا أنه لم ينقطع عن هذا الدرس حتى كان آخرُ درس ألقاه قبل أيام قليلة من وفاته رحمه الله ، وكان ذلك في آخر يوم من أيام شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢١هـ.

د ـ **الإفتاء وإلقاء الدروس في الإذاعة.**

هـ ـ **الإفتاء من خلال عمله في هيئة كبار العلماء** ، التي تنظر في المسائل المشكلة والنوازل الحادثة.

و ـ **تأليف الكتب والرسائل والمطويات** التي انتشرت انتشاراً واسعاً ، وعمَّ نفعها في العالم كله.

ز ـ **تدريس المسلمين خارج المملكة** ، وذلك عن طريق المحاضرات والدروس عبر الهاتف. وقد حدَّث بعض الشباب في أمريكة أنه قد حضر درساً هناك للشيخ ابن عثيمين ، وقد رُبط عن طريق الهاتف مع حوالي مئة مركز إسلامي.

ح ـ وكذلك كان يفتي للناس داخل المملكة عن طريق الهاتف في وقت مخصَّص ، وقد كان كلّما انتهى إمام المسجد الحرام من جزء من الصلاة رفع الشيخ ابن عثيمين هاتفه الجوَّال ليجيب على أسئلة الناس في هذا الوقت القصير .

ط ـ إلقاء المحاضرات والدروس العامة في مساجد المملكة كلَّما ذهب إلى زيارة إحدى مناطقها .

٩ ـ سمات منهج الشيخ:

وقد تميّز منهجُ الشيخ ـ رحمه الله ـ في تدريسه العلوم بالميزات التالية :

أ ـ العناية بمقاصد الشريعة وقواعد الدين؛ لأن ذلك مناط الحكم الإسلامي الذي أمر به الله سبحانه وتعالى .

ب ـ العناية بالدليل وصحته، وبناء الحكم عليه ، والاستنباط منه ، وصواب التعليل ووضوحه ومناسبته ، ليكون ذلك أكثرَ طمأنينة للعالم والمتلقِّي .

ج ـ الاعتدال والتوسط في المنهاج ، والسلوك ، والفهم ، والتقيُّد في ذلك بما كان عليه السلف الصالح .

د ـ التيسير الذي يُبعد الداعية عن التعقيد أو التنفير .

هـ ـ البعد عن التعصُّب ، والتقليد الأعمى ، والحرص على التوفيق بين النص والمصلحة .

و ـ الاهتمام بالتطبيق ، والعناية بالأمثلة والتخريج .

ز ـ الربط بين العمل الدعوي والتقعيد الفقهي، ضماناً لسلامة أعمال الدعوة، وما يضعه الدعاة بين أيدي الناس من كتب ومذكرات وغيرها .

ح ـ تركيزه على عقيدة السلف علماً وعملاً ودعوةً ، والتحذير مما يخالفها .

ط ـ تميُّزه بالدقة والعمق والشخصية المستقلة.

ي ـ تأثُّره بالمحققين من العلماء السابقين والمعاصرين؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، وغيرهم.

ك ـ إنصافه مخالفيه، وفقهه لأدب الخلاف.

ل ـ الشمول في المنهج، ومراعاة الأوليَّات[1].

١٠ ـ حسن استثماره للوقت:

ويُعدُّ الشيخ ـ رحمه الله ـ من نوادر العصر في هذا الأمر، فلو علمتَ مشاغلَه ومناصبَه، لقلتَ: إنَّه يحتاج إلى ضعف وقت اليوم ليقوم بأعماله، لكنَّ الله تعالى وفَّق الشيخ، وبارك في وقته، كما بارك في علمه، وكم كان منبِّه ساعته يُصدر صوتاً في الوقت المعيَّن لانتهاء الدرس ليبدأ بعدها بالأسئلة!.

وكان ـ رحمه الله ـ عَجَباً في حرصه على وقته، واستثماره فيما ينفع المسلمين؛ ما بين إمامة المصلين، وخطابة الجمعة، والتدريس في الجامعة، وإلقاء الدروس والمحاضرات في المساجد وعبر الهاتف، والفتوى في الصحف والمجلات والإذاعة.

وكان هذا دأبَه كلَّما حلَّ أو ارتحل؛ فإذا كان في بلدته عُنيزة، فدروس يومية، وفي أيام رمضان ينتقل إلى الحرم المكي، وهناك يقوم بإلقاء الدروس بعد صلاتي الفجر والتراويح، وإذا سافر إلى الرياض أو الطائف أو غيرهما، فلا بد من دروس ومحاضرات.

ومن أمثلة حرصه على الوقت واغتنامه له: أنَّ طلابه كانوا يقرؤون عليه

---

(١) جريدة الرياض: العدد ١١٨٩٢، ص ١١، وجريدة الحياة العدد ١٣٨٤٤: ص ٢١.

بعض الكتب وهو سائر من مسجده إلى بيته ، والمسافة بعيدة نسبياً ، والشيخ يحبُّ المشي ، فهم يقرؤون عليه ، وهو يسير معهم ، ويعلق على بعض المسائل[1] .

فرحم الله الشيخ. وما أحرانا أن نقتدي به في حرصه على الوقت. فكم من ساعات وساعات تضيعُ من حياتنا من دون فائدة! .

وأما عن برنامجه اليومي ، فيقول ابنه إبراهيم :

يبدأ يومه صباحاً بعد عودته من **صلاة الفجر** في المكتب مع الكتب بالكتابة أو القراءة حتى صلاة الظهر ؛ لأنه لم يكن عنده دروسٌ بعد الفجر.

ثم **يصلِّي الظهر** ، ويرجع أيضاً إلى المكتبة حتى الساعة الواحدة والنصف حيث موعد الغداء ، الذي كان فرصة يجلسُ فيها مع الأسرة. ورغم أنَّ هذا هو الوقت الوحيد الذي نجلسُ معه ، إلا أنه كثيراً ما تأتيه في ذلك الوقت مكالمات هاتفية يردُّ عليها ، ويجيبُ على الأسئلة والاستفتاءات حتى صلاة العصر ، أو قبل العصر بنصف ساعة ، فيرتاح في هذه الدقائق القليلة.

وبعد العصر يقابلُ الناسَ أصحاب الحاجات ، ويجلسُ معهم في المسجد ، ثم يعودُ إلى البيت قبل المغرب.

ويرجعُ إلى المسجد **لصلاة المغرب** ، بعدها يلقي درساً يومياً حتى صلاة العشاء.

وبعد العشاء يعود إلى المنزل للاستعداد للمحاضرات أو دروس طلابه التي تبدأ في هذا الموعد.

وكان له درسٌ خاصٌ **ليلة السبت وليلة الأربعاء** ، أما بقية الليالي ، فدائماً تكون عنده محاضرات عبر التليفون ، سواء داخل المملكة في جدة

---

(١) الدعوة: العدد ١٧٧٧ ، ص٦٦.

أو مكة ، أو خارج المملكة في أمريكة أو فرنسة ، أو في دول أخرى[١].

ثناء العلماء عليه:

* قال فيه الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز** ـ رحمه الله ـ:

«صاحب الفضيلة العلاَّمة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين».

* وقال فيه الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ** المفتي العام الحالي للملكة العربية السعودية:

«إنَّه واحدٌ من الرجال الأخيار ، وعالمٌ كبيرٌ ، كانت له إسهامات واجتهادات كبيرة في خدمة الدين والدنيا. . . وكان عالماً فاضلاً ذا علم وفضل وتواضع ، وأخلاق عالية»[٢].

* **وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الدريهم:**

«كان حريصاً كلَّ الحرص على اتباع الكتاب والسنة ، ومثالاً للعالم الجليل البصير التقي الصالح المحبوب المبجَّل، وقد خدم العقيدة الحقة والدعوة الإسلامية وعلوم الكتاب والسنة ، خدمةً لا نجد لها نظيراً».

* **الدكتور محمد سيد طنطاوي** شيخ الجامع الأزهر:

«كان ـ رحمه الله ـ عالماً قد قضى حياته في خدمة دينه وفي خدمة أمته الإسلامية بشجاعة وإخلاص وحرص على الجهر بكلمة الحق بأسلوب متميز»[٣].

* **وقال الدكتور عبد الصبور مرزوق** ، الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر:

---

(١) الأسرة العدد ٩٢ ، ذو القعدة ١٤٢١ ، ص ٢٢ ـ ٢٣.
(٢) المستقبل الإسلامي العدد ١١٥ ، ذو القعدة ١٤٢٠ ، ص٢٤.
(٣) مجلة المستقبل الإسلامي العدد ١١٥ ، ذو القعدة ١٤٢٠ ، ص ٢٠.

«كان أحدَ العلماء الأجلاَّء الذين عرفتهم ، وقد كان من خيرة العلماء؛ فقد كان حريصاً على الالتزام بأمور الشريعة ، وحريصاً على تطبيقها»[1] .

* وقال الدكتور يوسف القرضاوي :

«يعدُّ الفقيدُ أحدَ كبار العلماء الذين لهم وزنُهم ومساهماتُهم في الإفتاء والدعوة والتعليم. . . إنَّه رجلٌ على علمٍ ، وله الكثير من الفتاوى الميسَّرة على المسلمين»[2] .

* وقال الدكتور عجيِّل النَّشمي ، عميد كلية الشريعة في الكويت :

«كان عَلَمَاً منْ علماء العصر ، وأبرز فقهاء الأمة»[3] .

* وقال الشيخ أبو بكر الجزائري :

«إنَّ العالم إذا ماتَ انثلم من الإسلامِ ثُلْمَةٌ إلى يوم القيامة ، وموتُ العالم الرباني الشيخ محمد بن عثيمينَ آلَمَ الجميعَ ، وهَزَّ مشاعر المسلمين»[4] .

* وقال الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع ، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية :

«كان ـ رحمه الله ـ عالماً ورعاً ، واسع العلم والاطلاع. . وكان من العلماء الأعلام المجاهدين في سبيل الله»[5] .

* وقال عنه الدكتور جاسم بن محمد مهلهل الياسين :

---

(١) مجلة المستقبل الإسلامي العدد ١١٥ ذو القعدة ١٤٢٠ ص ٢٠ .
(٢) مجلة المستقبل الإسلامي العدد ١١٥ ذو القعدة ١٤٢٠ ص ٢١ .
(٣) المستقبل الإسلامي العدد ١١٥ ذو القعدة ١٤٢٠ ص ٢١ .
(٤) المستقبل الإسلامي العدد ١١٥ ذو القعدة ١٤٢٠ ص ٢٤ .
(٥) المستقبل الإسلامي العدد ١١٥ ذو القعدة ١٤٢٠ ص ٢٥ .

«علاَّمة الجزيرة ، وشيخ الفقه والعقيدة والأدب ، وجامع الفنون سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين»[1].

* وقال **الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي** ، أستاذ التفسير في كلية الدعوة وأصول الدين في الأردن:

«لقد توفَّىٰ اللهُ عالماً من كبار علماء المسلمين ، هو في مقدِّمتهم عِلماً ومنزلةً وفضلاً وجهداً واجتهاداً ، ولا يشك منصف أنَّ سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ـ رحمه الله ـ في مقدمة العلماء الربَّانين. . . رحم الله سماحة الإمام العالم المجدد المجتهد ، وعوَّض الأمةَ فيه خيراً»[2].

* ووصف معالي الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة **الأستاذ كامل الشريف** وفاةَ سماحة الشيخ ابن عثيمين: **«أنَّها خسارةٌ كبيرةٌ مُنِيت بها الأمة الإسلامية؛ لِمَا للفقيد الكبير من مآثر جليلةٍ وتضحيات كبيرة ، واهتمامات عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين»**[3].

كثرة عدد تلاميذه:

قد يصعبُ على الباحث حصرُ تلاميذ الشيخ ـ رحمه الله ـ؛ فهناك مَنْ جلس يدرس على يديه في الجامع الكبير في عُنيزة ، وهناك مَنْ درس عليه في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم ، وهناك مَنْ درس عليه في المعهد العلمي بعُنيزة ، وهناك مَنْ درس عليه في الحرم المكي الشريف. وقد كثُر تلاميذه ، وتوافدوا عليه مِنْ كل مكان ، ولا سيما خلال السنوات الأخيرة من عمره ـ رحمه الله ـ، حتى زاد العدد على الخمسمائة طالب في

---

(١) مجلة النور: العدد ١٩١ ذو القعدة ١٤٢١ ص ٢٢.
(٢) الشقائق: عدد ٤١ ، ص ٤٢.
(٣) مجلة الدعوة ، العدد ١٧٧٦ ، ٢٣ شوال ١٤٢١هـ ، ص ٣٥.

بعض الدروس ، على اختلاف مستوياتهم .

ويعيدُ الأستاذان الفاضلان وليد بن أحمد الحسين والدكتور عبد الله الطيار ، حفظهما الله أسباب كثرة طلاب الشيخ ـ رحمه الله ـ، وإقبال الناس على دروسه إلى الأمور التالية :

١ ـ **الصدق والإخلاص في طلب العلم** ، وتعليمه وبذله للناس .

٢ ـ **الصبر ، والمتابعة ، والحرص على الاستمرار**؛ حتى إنَّ الشيخ كان يعتذرُ عن الذهاب إلى كثير مِنَ المناطق حرصاً على طلابه . فحين عرض عليه أن يذهب إلى الأحساء في إحدى المرات ، اعتذر قائلاً :

«كيف أذهبُ وأترُك طلابي ، وأنتَ ترى العددَ الكبير ، وهؤلاء تفرَّغوا لطلب العلم ، وذهابي يؤثِّر عليهم ، ويوهِنُ من عزيمتهم؟!» .

٣ ـ **البساطة والتواضع** ، ومراعاة الكبير والصغير ، فكلٌّ يعطيه على قدره ، بل إنَّه يترجَّل إلى المسجد ذهاباً وإياباً .

٤ ـ **سلامة المنهج في المعتقد** .

٥ ـ **انتشار دروس الشيخ ومحاضراته** ، ولا سيما في الحرم المكي ، والمسجد النبوي ، ومدينة الرياض ، وجدة ، والمنطقة الشرقية ، ومشاركة الشيخ الإعلامية الجادة في برنامج (نور على الدرب) ، وبرنامج (سؤال على الهاتف) اللذينِ كانت تبثُّهما إذاعة القرآن الكريم في الرياض . وغير ذلك .

٦ ـ **الوضوح في الأداء ، والعمق في الفهم ، والدِّقة في الاستنباط** ، وطرح القول بقوة ، والترجيح في معظم المسائل أخذاً بالدليل ، وقوة الأسلوب ، وسهولة العبارة ، التي يفهمها عامة الناس ، فضلاً عن طلاب العلم .

٧ ـ **تصدِّي الشيخ لشرح كثير من المتون في فنون مختلفة** ، وتسجيل ذلك؛ حيث انتفع به خلق كثير ، ومن تلك المتون التي شرحها

شرحاً كاملاً ، وسُجِّلت على الأشرطة: «الرسالة التدمرية» ، و«فتح رب البرية بتلخيص الحموية» ، و«العقيدة الواسطية» ، و«كتاب التوحيد» ، و «العقيدة السفارينية» ، واسمها «الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية» ، وغير ذلك مما لم تُستكمل ككتاب «بلوغ المرام» ، و«زاد المستقنع» ، وغيرها من الكتب الكثيرة التي سجلت على الأشرطة ، وانتشرت في أقطار الدنيا ، واستفاد منها طلبة العلم.

٨ ـ **عدم تعصُّبِه لمذهب معين أو جموده عليه في جميع مسائل** الأحكام ، وتجرُّدُه للحق حيثما ثبت الدليل ، حتى ولو كان ظاهره مخالفاً لصريح المذهب الحنبلي الشائع في بلاد الحرمين.

٩ ـ **تقلُّده بعضَ المناصب المهمة؛** مثل عضوية هيئة كبار العلماء ، ورئاسة قسم العقيدة في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم ، ورئاسة جماعة تحفيظ القرآن الكريم في مدينة عُنيزة ، واتصالاته الواسعة بكبار المسؤولين من أجل المصلحة العامة.

١٠ ـ **كثرة مؤلفاته** ، التي أكثرها صغيرة الحجم ، غزيرة الفائدة ، واضحة العبارة ، ليس فيها غموض أو تعقيد ، يفهمها العامة فضلاً عن طلبة العلم ، وكان الإقبال عليها شديداً ، وترجم بعضها إلى عدة لغات ، ولا سيما الإنكليزية ، وانتشرت في أكثر بقاع الأرض[١].

مواقفه مع تلامذته:

أما مواقفه مع تلامذته ، ففيها العجب ، وأُوْرِدُ هنا ما جاء في مقالة وردت في «مجلة الأسرة» ، ذُكِرَ فيها: أنه كان الشيخ ـ رحمه الله ـ على علمٍ بأحوال تلامذته ، يتفقَّد غائبهم ، ويحرص على تفهيم حاضرهم ، ويزوِّد محتاجَهم بما يريد من المال أو الكتب ، وكان يكلِّف بعضَهم بمراجعة

---

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص ٢٣ ـ ٢٥ ، صفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار: ١٨ ـ ٢٠.

الأحاديث ، أو تحرير بعض المسائل ، وينظر في ذلك كلّه ويتابعه ، بل كان يجعلُ بعض المتميِّزين من طلبته يقوم بتدريس بعض المبتدئين .

ومِنْ صور عِظَم خُلُقه ودينه : أنَّه كان يعرض على بعضهم التزوُّجَ مِنْ بناته ، فكان أن تمَّ ذلك فعلاً ، وتزوج بعضُهم من بناته ، فرحم الله ذلك الإمام العالم .

وله مع تلامذته مواقفُ كثيرة ، يمكن تتبُّعها وجمعُها في كتاب مفرد ، ونذكر في هذا الباب موقفين :

الأول : المعروف عن الشيخ ـ رحمه الله ـ ، **الذكاء** ، وكان يتابع تلامذته أثناء الدرس حتى لا يشرد ذهنُ أحدهم ، فتضيع عليه الفائدة ، ومرة رأى بعض تلامذته غيرَ حاضرِ الذهن في الدرس ، ويبدو أنَّه كان غيرَ فاهمٍ لِما قاله الشيخ فشرد ذهنه ، فأوقفه الشيخ سائلاً :

الشيخ : هل أنت فاهم لِما قلتُه؟ .

الطالب : إن شاء الله يا شيخ ! .

الشيخ ـ (ولم تمش عليه هذه العبارة) : هل على رأسك شماغ؟ ! .

الطالب : نعم يا شيخ .

الشيخ : لِمَ لَمْ تقل : إن شاء الله؟! لكن لمَّا كنتَ غير فاهمٍ للدرس قلتَ : «إن شاء الله» ، ولما كنتَ متأكداً من وجود الشماغ على رأسك جزمتَ ، ولم تقل إن شاء الله .

فعرفَ الطالب أنه لم ينطل قولُه على شيخه ، ولم يمشِ عليه هذا التعميمُ في العبارة ، فأعاد الشيخُ المسألةَ حتى تأكَّدَ من فهم الطالب لها .

الثاني : رأى الشيخ ـ رحمه الله ـ بعضَ الحضور في درسه ممن لا يشارك معهم ، فعرف الشيخ أنَّ هذا الطالب غيرَ فاهم ، فأوقفه الشيخ وقال له : هل أنتَ فاهِمٌ لِمَا أقوله؟ .

قال الطالب: لا يا شيخ.

وهنا غضب الشيخ وقال: إذا كنتَ غيرَ فاهِم لِمَ تأتي وتحضر معنا؟!.

الطالب: لأحصِّل الثواب، وهو قول المنادي من السماء في نهاية المجلس: «**قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلت سيئاتُكم حسنات**»!.

فتوقَّفَ الشيخُ عن لوم الطالب تعظيماً لحديث النبي ﷺ، ولقوة حجة الطالب[1].

وكانّ الطالبَ يشير إلى حديث النبي ﷺ: «**ما جلسَ قومٌ يذكرونَ الله عَزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ مِنَ السماء: قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلت سيئاتُكم حسناتٍ**»[2].

منهج الشيخ في الدعوة إلى الله:

وفي هذا الجانب قال الدكتور عبد الله بن أحمد الطيار:

الداعيةُ عند الشيخ هو الذي يصدُقُ في دعوته، ويتّقي الله في السِّرِّ والعَلَن، وإذا كان حريصاً على لزومِ المنهجِ الصادقِ في الدعوة إلى الله، فعليه بما يأتي:

١ ـ أن يكون فيما يدعو إليه مرتكز على علم صحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، **لأنَّ كلَّ علمٍ يُتلَقَّى من سواهما يجبُ عرضُه عليهما، فما وافقهما قُبِلَ، وما خالفهما رُدَّ على قائِلِه كائناً من كان.**

والدعوةُ إلى الله بغير علم خلاف ما كان عليه النبي ﷺ ومن اتبعه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) الأسر: العدد: ٩٢ ذو القعدة: ١٤٢١، ص ٢٠.

(٢) رواه أحمد (١٢٠٤٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٢١٠).

والبصيرةُ هنا أن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه في حال المدعو ، وما يناسبه من الأسلوب ، وفي كيفية الدعوة ، فينظر إلى النتائج ، ويلتمس الحكمة ، ويتحلَّى بالتأنِّي : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

٢ ـ أن يكون الداعيةُ صابراً على دعوته ، صابراً على ما يدعو إليه ، صابراً على ما يعترِضُه من الأذى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] .

٣ ـ الحكمة ؛ فيدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم الجدال بالتي هي أحسن ، والحكمةُ إتقانُ الأمورِ وإحكامُها ، بأن تُنَزَّلَ الأمورُ منازلَها ، وتوضعَ في مواضعها . يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ :

«ليسَ من الحكمة أن تتعجَّل ، وتريدَ من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشيَّة وضحاها ، ومن أراد ذلك ، فهو سفيهٌ في عقله ، بعيدٌ عن الحكمة . . . فلا بدَّ من طول النَّفَس . واقبل من أخيك ـ الذي تدعوه ـ ما عنده اليوم من الحق ، وتدرَّجْ معه شيئاً فشيئاً حتى تنتشلَه من الباطل» .

ويقول رحمه الله :

«والدعوة إلى الله لا بدَّ أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولين الجانب ، وعدم العنف واللوم والتوبيخ» .

٤ ـ أن يتخلَّق الداعية بالأخلاق الفاضلة ، بحيث يظهرُ عليه أثرُ العلم في معتقده ، وفي عبادته ، وفي هيئته ، وفي جميع مسلكه ، حتى يمثِّلَ دورَ الداعية إلى الله ، يقول الشيخ :

«على الداعية أن يكون متخلِّقاً بما يدعو إليه من عبادات أو معاملات أو أخلاق وسلوك ، حتى تكونَ دعوتُه مقبولةً ، وحتى لا يكونَ مِنْ أوَّلِ مَنْ تُسَعَّرُ بهم النار» .

٥ ـ **كسر الحواجز بينه وبين الناس** ، لأنَّ كثيراً من الدعاة إذا رأى قوماً على منكر ، قد تحمِلُه الغيرةُ وكراهيةُ هذا المنكر على أن لا يذهبَ إلى هؤلاء ، ولا ينصحهم ، وهذا خطأ ، بل على الداعيةِ أن يصبرَ نفسَه ويُكرهَها ، حتى يتمكَّنَ من إيصالِ دعوته إلى مَنْ هم في حاجة إليها ، وهذا دأبُ نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد ﷺ ، ومن الواجب علينا أن نكونَ مثلَه في الدعوة إلى الله .

٦ ـ **أن يكونَ قلبُه منشرحاً لمن خالفه** ، لا سيما إذا علِمَ أنَّ الذي خالفه حسنَ النية ، وأنَّه لم يخالفه إلا بمقتضى قيام الدليل وصحته عنده .

والشيخ رحمه الله يرى أن يجتهد كلُّ مسلم حسب استطاعته في الدعوة إلى الله ، كلٌّ على قدر طاعته : العالم بفتواه وتوجيهه ، وإمام المسجد بنصح جماعته ومتابعتهم ، والأب في البيت ، وهكذا الأم ، والمدرس في المدرسة ، والجار مع جاره ، الكلُّ يتعاون في هذا الباب العظيم؛ لأنَّ الله أوجبَ هذا الأمر ، ولا تتحقق الخيريَّة إلا به ، ولو أنَّ كل مسلمٍ صدقَ مع الله ، وأبلى في هذا الباب بلاءً حسناً واجتهدَ ، لكانَ حالُ أمةِ الإسلامِ غيرَ هذه الحال ، ولكن ما لا يُدْرَكُ كلُّه لا يتركُ بعضُه .

ولقد سار الشيخ ـ رحمه الله ـ على هذا المنهج ، وبذل كلَّ وسيلة مستطاعة في سبيل إيصال الدعوة إلى الناس؛ فهو يدعو في كلِّ مناسبة ، ويوجِّه الحديث حسب الحضور ، فلا تراه إلا ناصحاً أو موجهاً أو مرشداً أو مفتياً ، فوقته كلُّه عبادة لله . ولذا نفع الله به ، واستفاد منه القريب والبعيد ، وهكذا الصدقُ مع الله ، والصبر على الدعوة ، وطول النفَس يحقق بعون الله من خلاله الشيءَ الكثير . وقد لا تظهر الثمرةُ خلال وقت قريب ، ولكن على المسلم الجد والاجتهاد ، والنتائجُ يتولاها رب العباد . . .

ويقول الشيخ:

«لا شكَّ أنَّ الدعوةَ الإسلامية منذُ بُعِثَ الرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، أوّلِيّاتُها وأصولها واحدةٌ، لا تتغير بتغير الزمان، لكن قد تكون بعض الأصولِ محقَّقة عند قوم، وليس فيها ما ينقضها أو ينقصها، فيعمل الداعية إلى النظر في أمور أخرى يكون فيها من يدعوهم مقصرين...»[1].

منهج الشيخ في إنكار المنكر:

يرى الشيخ رحمه الله أنَّ إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامةُ المجتمع، فلا يقوم المجتمع إلا إذا شعر كلُّ فرد من أفراده أنَّه جزءٌ من كلٍّ، وأنَّ فساد جزء من هذا الكلِّ فسادٌ للناس جميعاً. ولا بدَّ أنْ يسعى في إصلاح المجتمع بشتى الوسائل التي تضمن المصلحةَ، وتزولُ بها المفسدةُ، فيأمر بالمعروف بالرفق واللين والإقناع، وليصبرْ على ما يحصلُ له من الأذى القولي والفعلي، فإنَّه لا بدَّ من ذلك لكلِّ داعٍ كما جرى لسيد المصلحين وخاتم النبيين ﷺ.

ويرى الشيخ أنَّه يجب على الناس جميعاً أن يتعاونوا تعاوناً حقيقياً فعَّالاً في إصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأنْ يكونَ الناسُ كلُّهم جنداً عاملين في هذا الأمر العظيم، ويمثِّل ـ رحمه الله ـ بمثال بديعٍ في هذا السياق، فيقول:

«إننا لو علمنا أنَّ في بيتٍ من بيوتِ هذا البلدِ مرضاً فتاكاً، لأخذَنا القلقُ والفزعُ، ولاستنفدنا الأدوية، وأجهدنا الأطباءَ للقضاء عليه، هذا وهو مرضٌ جسميٌّ. فكيفَ بأمراض القلوب، التي تفتك بديننا وأخلاقنا؟! إنَّ الواجب علينا إذا أحسسنا بمرض ديني أو خُلقي يفتك

---

(١) صفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار: ٢٥ ـ ٢٧.

بالمجتمع ، ويحرف اتجاهه الصحيح : أنْ نبحثَ بصدقٍ عن سبب هذا الداء ، وأن نقضيَ عليه وعلى أسبابه قضاءً مبرماً من أيِّ جهةٍ كانت ، لا تأخذنا في ذلك لومةُ لائمٍ ، قبل أن ينتشرَ الداءُ ويستفحلَ أمرُه».

ويرى ـ رحمه الله ـ: **«أنَّ كلَّ واحدٍ من الخلق معرَّض للخطأ ، فإذا رأى المسلمُ من أخيه خطأً ، فليبادِرْ إلى الاتصال به ، وتحقق الأمر منه ، فقد يكونُ الخطأُ خطأً في ظننا ، ولكنَّه في الواقع ليسَ كذلك».**

ويرى ـ رحمه الله ـ: **«أنَّه لا يجوزُ اتخاذُ الخطأ سبباً في القَدْح في الداعية ورَجُل الحسبة ، وغيرهم ، والتنفير ممّن يقعُ منه الخطأ ، فهذا ليس من سمات المؤمنين ، فضلاً على أن يكون من سمات الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ».**

ويرى الشيخ ـ رحمه الله ـ: **«أنَّ منكرَ المنكر مثلُ الطبيب ، فلو أنَّ الطبيبَ أتى على الجُرح ، وشقَّهُ مباشرةً ليستخرجَ ما فيه ، فربما يتولَّدُ ضرر أكبر ، ولكنْ لو أنَّه شقه يسيراً يسيراً ، وصبر على ما يشم منه من رائحة منتنة لحصل المقصود».**

ويرى الشيخ ـ رحمه الله ـ: **«أنَّه لا يجوزُ غشيانُ المكانِ الذي فيه منكرٌ إلا إذا كان باستطاعته إزالةُ المنكر أو تخفيفه»**[(١)].

منح الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام:

لم يكن الشيخ ـ رحمه الله ـ في علمه ودعوته يسعى إلى شهرة أو جاه أو سمعة ، بل كان رضا الله سبحانه هو مبتغاة وهدفه ، ولا يهمُّه بعد ذلك مدح المادحين أو ذم الذامِّين.

ولكنَّ الله تعالى قد حقق عاجل البشرى لهذا العلَم الرباني؛ إذ أرضى عنه عباده ، فعملوا على إكرامه بأنْ منحوه جائزة الملك فيصل العالمية

---

(١) صفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار: ٢٨.

لخدمة الإسلام لعام ١٤١٤هـ ، وقد ذكرت لجنةُ الاختيار في حيثيات الاختيار وفوز الشيخ بالجائزة الأسبابُ التي دعتها إلى منح الجائزة للشيخ ـ رحمه الله ـ ومِمَّا جاء في ذلك ما يلي :

١ ـ تحلِّيه بأخلاق العلماء الفاضلة ، التي من أبرزها الورع ، والزهد ، ورحابة الصدر ، وقول الحق ، والعمل لمصلحة المسلمين ، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

٢ ـ **انتفاعُ الكثيرين بعلمه** تدريساً ، وإفتاءً ، وتأليفاً.

٣ ـ **إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة** في مختلف مناطق المملكة.

٤ ـ مشاركتُه المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة.

٥ ـ إتباعُه أسلوباً مميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتقديمه منهجاً حياً لمنهج السلف الصالح فكراً وسلوكاً.

والشيخ ـ رحمه الله ـ أهلٌ لهذه الجائزة؛ فقد نفع الله به داخل البلاد وخارجها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أخلاقه وسجاياه:

كان حقاً على الذين يعرفون أهل العلم وصاحبوهم أن يتحدَّثوا عن أبرز صفاتهم وأخلاقهم ، ليقتدي بهم الشباب الذين يبحثون عن القدوةَ في هذا الزمان ، ومن هؤلاء العلماء الذين كثرت في حياتهم مواطنُ القدوة الشيخ العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ، فمن أبرز صفاته :

١ ـ حرصه على نشر العقيدة الصحيحة: ويبدو هذا الأمر واضحاً جداً من خلال كتبه التي ألَّفها على كثرة مشاغله. منها على سبيل المثال: «شرح لمعة الاعتقاد» ، و«القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى» وغيرها.

ويبدو ذلك واضحاً أيضاً من خلال دروسه التي كان يخصِّصُ جزءاً منها

لشرح كتب العقيدة ، وتوضيحها للناس في الدروس العامة ، فلا يمرُّ على موضوع في العقيدة إلا وضَّحه غايةَ البيانِ بالحجة والبرهان.

٢ ـ حرصه الشديد على نفع الناس ونشر الخير: كان الشيخ ـ رحمه الله ـ لا يفَوِّت فرصةً تحصلُ له بأن ينفعَ الناسَ إلا ويستغلها ، فقد كان الشيخُ رحمه الله لا يذهبُ إلى مكان إلا أقام فيه درساً؛ ففي كل سنة يذهب إلى مكة المكرمة يقيم فيها دروساً، سواء أتاها في شهر رمضان أو في غيره، وإذا ذهب إلى المدينة المنورة أقام درساً ، وحين أتى الرياض وهو مريضٌ وأقام عند أخيه كان يشرحُ كتاب «رياض الصالحين» بعد صلاة العصر في مسجد الحي ، حتى وهو على سرير المرض في المستشفى كان يجيبُ على أسئلة برنامج «سؤال على الهاتف» الذي كان يذاع في إذاعة القرآن الكريم.

٣ ـ تمسُّكه الشديد بالسنَّة والعمل بها: فقد كان ـ رحمه الله ـ يحثُّ الناس دائماً على التمسُّك بالدليل ، وعدم تركه لرأي فقيه أو عالم.

وكان ـ رحمه الله ـ كثيرَ التنبيه في معظم أوقاته على ما هو سنَّةٌ وما هو بدعةٌ؛ ومن ذلك: ذهابُه إلى المسجد ماشياً رغم بُعْدِ المسجد عن بيته.

ومن ذلك: عدمُ صلاته السنَّةَ الراتبةَ في مكة؛ لأنه مسافر ، ولبسُه البياضَ من الثياب.

٤ ـ تواضعه: وأمَّا عن تواضعه فحدِّثْ ولا حرجَ ، فمن ذلك: سلامُه على الصبيان ، وقبولُه هديتهم ، وسكنه في بيتٍ من الطين لمدةٍ طويلة ، مع أنّ الملك خالد بن عبد العزيز عرض عليه شراء بيت جديد له ، لكنَّه رفض ، وجلس سنواتٍ فيه ، ولولا ضغطُ أبنائه وإلحاحُهم الشديد عليه ، لما ترك بيت الطين الصغير.

ومن ذلك: بساطةُ لباسه وكلامه ، وملاطفتُه لمجالسيه ، واستماعُه للصغير وتقبيله.

ومن ذلك: أنَّه كان مرةً في أحد دروسه على سطح الحرم، فأتت هرةٌ من بين الصفوف، والشيخُ يلقي الدرسَ، فتوقف الشيخ، وقال: ماذا تريد هذه الهرة؟ لعلَّها تريد ماءً، فسقوها، ثم ذكر الشيخ فائدةً بمناسبة حضور الهرة، فضحك الجميع.

ومن ذلك حملُه صناديق الكتب التي كانت تأتيه إلى البيت مع أمين مكتبته الخاص[(١)].

ومن ذلك أنَّ بعضَ الحاضرين لأحد دروسه أحضر نعلي الشيخ رحمه الله لَمَّا أراد الخروج من المسجد ليلبسهما، فرفض الشيخ ذلك، وطلب منه بأن يعيدهما إلى مكانهما[(٢)].

٥ ـ زهده وورعه: وقد كان للشيخ رحمه الله قَصْبُ السَّبْق في هذا الميدان، حيثُ ظهرتْ أماراتُ زهده وورعه للقريب والبعيد، في ملبسه، ومركبه، وتعامله مع الخلق، يكره الإطراء والمديح ولو كان صادقاً وفي محله، جاءته الدنيا منقادةً تخطِبُ ودَّه، فتركها ورغب في الدار الآخرة[(٣)].

ومن مظاهر زهده وورعه رحمه الله هذه المشاهد:

أ ـ أنك تجده على لباس واحد لا يتغيّر طوال الأسبوع، يبدأ بياض غترته يتناقص يوماً فيوماً، حتى ترجع إلى بياضها في يوم الجمعة.

ب ـ ولَمَّا أُهديتْ إليه من الملك خالد بن عبد العزيز عمارةٌ، جعلها وقفاً على طلبة العلم، وصار هو القيِّمَ عليها.

---

(١) الدعوة العدد ١٧٧٧، ٣٠شوال ١٤٢١، ص ٢٦.

(٢) الدعوة العدد ١٧٨١، ٢٨ ذو القعدة ١٤٢١، ص٥٨.

(٣) الحكمة العدد الثاني ص ٢٧ ـ ٢٨، صفحات من حياة الفقيد لعبد الله الطيار: ص ١١ ـ ١٢.

ج ـ ولم يخرج من بيته الطيني إلا من قريب بضغطٍ من أبنائه.

د ـ وكانت تُعطى له الأعطياتُ الكبيرة، فيعلن على الملأ مباشرةً أنها لطلبة العلم.

هـ ـ ومن ذلك: أنَّ هذا الزهد تطلَّبَ بساطةً في العيش، فقد كان يذهبُ إلى مسجده راجلاً، ويرفضُ أن يُوْصِلَه بعض تلاميذه، وطوال الطريق إلى المسجد لا ينقطعُ عنه السائلون والمستفتون كباراً وصغاراً، وحتى طلاب المدرسة الابتدائية الواقعة في طريقه إلى المسجد كانوا يلتفُّون حوله، يسلِّمون عليه، فلا يردُّ أحداً منهم، ويرحِّبُ بهم، ويهشُّ في وجوههم، ويعنِّفُ من يحاول أن يصدهم عنه.

و ـ كما عُرِضَتْ عليه المناصب كتولي القضاء فرفض ذلك، واستعفى منه بعد مراجعات ووساطات.

ز ـ وأما عن **شِدَّةِ ورعه، وحرصه على الكسب الطيب**: ففي عام ١٤١٧هـ استضافته جامعة الإمام في دورة المبتعثين في المعهد العلمي بجدة في محاضرة علمية لهؤلاء المبتعثين، ليجيبَ على أسئلتهم الشرعية، وقد تزامن ذلك مع اجتماع هيئة كبار العلماء في مدينة الرياض، فاعتذر الشيخ عن المحاضرة، إلا أن يأذن له سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فأذنَ له فحضر، وفي نهاية المحاضرة طُلب منه التوقيع على نموذج يتم بناءً عليه صرف مكافأة لملقي المحاضرة، فلَّما صلَّى الشيخُ المغرب سأل مرافقه عن الورقة التي وقَّعها قبل الصلاة، فلمَّا أعطاه إياها مزَّقها، فلمَّا سُئل عن سبب تمزيقها قال: «**نحن محسوبون الآن على هيئة كبار العلماء بالرياض**». وهذا يدلُّ على ورع كبير حيث رفضَ المكافأة على هذه المحاضرة رغم تكلُّفه مشقةَ السفر إلى جدة معَلِّلاً ذلك بأنه في حال انتدابٍ إلى الرياض لحضور اجتماع الهيئة[١].

---

(١) الدعوة: العدد: ١٧٧٦، ص ٤٦.

ح ـ كان الشيخ ـ رحمه الله ـ أستاذاً في فرع جامعة الإمام بالقصيم ، ومعروفٌ أنَّ الأساتذة لهم رواتب في ضوء ما يقدِّمونه من محاضرات ، وقد يحدثُ أحياناً أن يكون للشيخ ارتباطاتٌ مع هيئة كبار العلماء أو في الحج ، ولم يتمكَّن من إلقاء المحاضرات ، فيطلب من المسؤول خصم المكافأة عن المحاضرات التي اعتذر عنها .

ط ـ ذكر الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مدير جامعة الإمام محمد آنذاك[1] أنَّه بعد صدور نظام الجامعة أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها ، حسب الكادر الجامعي ، وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلَّب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص ، فلم يتقدَّم الشيخ محمد بأيِّ بحثٍ ، وحينما فُوتح بذلك برَّر عزوفه عن ذلك بأنَّ العالم لا ينبغي أن يستشرفَ للرتب والترقيات ، وأنَّ أهل العلم الشرعي يحسُن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله ، وما يأتي تبعاً لذلك ، فلا بأس به .

ي ـ والموقف الثاني الذي يذكره الدكتور التركي قائلاً : مفاجأته لي وأنا مدير للجامعة بتقديم ظرف بداخله مبلغ من المال . فسألته عن قصته ، فذكر أنه صُرف له مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم . وكان ـ رحمه الله ـ وقتها على مِلاكِ معهد عُنيزة العلمي ، مفرَّغاً لإعداد كتب دراسية للمعهد العلمي ، وقال :

«إنَّ وقت هذه المحاضرات اقتطعتُه من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية ، وبذلك لا أستحق ما صُرِف[2]» .

ك ـ وهذه حادثة يرويها عنه تلميذه الشيخ خالد بن صالح الشبل ؛ حيث قال : كانت للشيخ محاضرة في إحدى الدور الصيفية للبنات التابعة لجمعية

---

(١) هو الآن أمين عام رابطة العالم الإسلامي (ن) .

(٢) مجلة الفيصل ، العدد ٢٩٤، ص٩ .

تحفيظ القرآن الكريم في عُنيزة ، ولَمَّا حضر كنتُ أحضرتُ معي إناءً صغيراً فيه رُطَبٌ ، وكان الرُّطَبُ في بدايته ، ولَمَّا قدمته للشيخ أكل منه اثنتين أو ثلاثاً ، واستغرب أن يوجد هذا في ذلك الوقت ، لكنني قلتُ له: إنَّ هذا من نخلة عندنا بجوار المسجد ، تُسقى من ماء المسجد ، ويأكلُ منها جماعةُ المسجد والمارَّة ، فتغيَّر وجهه ، وقال لي ولم يكن معنا أحد: «**يعني ليست عندك في البيت؟**»

قلت: لا ،

فأخرج من جيبه عشرين ريالاً ومدّها لي ، فحاولت رده ، لكنَّه رفض بشدة ، فأدخلتُ المبلغ للمسجد ، وندمتُ إن كنتُ أسأتُ إلى الشيخ من حيثُ لا أريدُ ذلك ، وإنَّما أحببتُ أن يطعمَ منها حُبَّاً له[1].

٦ ـ **عبادته**: عُرف عن الشيخ قيامه بالفرائض والنوافل والطاعات؛ ومن صور ذلك:

أ ـ أنَّه يحجُّ في كلِّ عام منذ سنوات طويلة.

ب ـ أنَّه يعتمِرُ في شهر رمضان وفي غير شهر رمضان.

ج ـ أنَّه يقومُ الليلُ حتَّى مع شدَّة تعبه ، وقد حدَّث عن ذلك بعضُ تلامذته ، وهو الشيخ حمد العثمان ، فذكر أنَّه سافر مع الشيخ إلى الرياض ، فمكثوا فيها وقتاً ، ثم غادروا إلى جدة ، فأدَّوُا العمرةَ في مكة ، فلَّما انتهوا من عمرتهم ، وكان التعب قد سرى في أجسادهم ، فاستسلموا للنوم. قال الشيخ حمد: فقمتُ في الليل إلى الحمام لقضاء الحاجة ، وإذ بي أرى الشيخ ـ رحمه الله ـ قائماً يصلي! فقلت: سبحان الله ، أنا شابٌّ واستسلمت للنوم ، وهذا شيخٌ كبيرٌ تعب مثلي ، ثم يقوم في الليل ليصلي.

---

(١) جريدة الرياض العدد: ١١٨٩٨ ، ص: ٤.

٧ ـ **جوده وكرمه**: أما حكايات جوده وكرمه ، فإنَّ فيها العجب العجاب:

فها هو الأستاذ وليد الحسين أحدُ تلاميذه المقرَّبين يقول: لقد لمستُ حرصَ الشيخ على طلابه منذ بداية ملازمتي له ، وذلك عندما قصدتُ هذه البلاد قبل ثلاث عشرة سنة ، وقد صحبتُ معي القليلَ من المال فنفد ، ولم يبقَ عندي منه شيءٌ ، فصبَّرتُ نفسي ، وأيقنتُ أنَّ الله سيفرِّج هذا الضيق.

حتى إذا مضت أسابيعُ ، وأنا أعيشُ هذا الضيق ، فإذا بالشيخ يناديني بعد صلاة الفجر ، وبيده مبلغٌ من المال ليس بالقليل ، ويعلمُ الله أنني لم أشْكُ له حالي ، ولكنَّه الفرجُ من الله.

وبعد مدة من الزمن نَفِدَ ما عندي من المال ، فخشيتُ أن أكونَ قد أحرجتُ الشيخ في مساعدته لي ، أو يظن أنني لازمته من أجل المال ، فقررتُ أنْ أرحلَ ، وأجمعَ مالاً أتقوَّى به على طلبِ العلمِ ، فرحلتُ إلى الدمَّام ـ حيث معارفي ـ وتركتُ رسالةً للشيخ بيَّنتُ فيها سببَ ارتحالي ، فساءه ذلك جداً ، وحاولَ أن يتعرَّفَ إلى عنواني ، فتيسر له الحصولُ عليه وعلى رقم هاتفي ، واتَّصل بي هاتفياً ، وألزمني بالرجوع ، وألَحَّ عليَّ ، فأجبتُه إلى طلبه ، وأنا في حرجٍ ، واستأنفتُ ملازمتي له.

وكان ـ رحمه الله ـ لا يبخلُ عليَّ وعلى زملائي من المغتربين بالإنفاق علينا ، ومتابعة أحوالنا ، وتذليل الصعاب التي تواجهنا[1].

ومن ذلك أنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ كان يتكفَّلُ بنفقات طلبة العلم الذين جاءوا لينهلوا من علمه ، وقد كان الطلبةُ الذين يكفلهم ينقسمون إلى قسمين: قسم للعائلات وقسم للعزَّاب.. وقسم ثالث يقومُ الشيخ بدفع

(١) «مجلة الحكمة» عدد ٢ ، ص٤٧.

الإيجار لهم للسكن خارجَ السكن المعدِّ للطلبة العزَّاب ، وذلك لكثرة العدد الموجود في السكن ، وقد كان عددُ الطلبة العزَّاب في الدورة الصيفية الأخيرة للشيخ في حدود ١٦٦ طالباً ، وقسم العائلات بلغ عددُهم في حدود ٥٠ عائلة ، هذا غير امتلاء المسجد بالذين يأتون من خارج المملكة من الكويت وقطر والإمارات وغيرها[١].

٨ ـ **خُلُقه** ودينه: لا يتسُع المقام هنا لذكر كثير مِنْ صورِ عظيمِ خُلُقِه ودينِه ـ رحمه الله ـ ونذكرُ في هذا المقام الضيِّق ثلاثَ صورٍ؛ لعل الله أن ينفعَ بها:

أ ـ من ذلك أنَّ أحدَ طلابه استأذنه أن يلقيَ أمامه قصيدةً ، فأذنَ له؛ فقال الطالب:

يا أُمَّتِي إنَّ هذا الليلَ يعقبُه فَجْرُ   وأنــوارُهُ فــي الأرضِ تَنتشــرُ
والخيرُ مُرْتَقَبٌ ، والْفَتْحُ مُنْتَظَرٌ   والحقُّ رُغْمَ جُهُوْدِ الشَّرِّ مُنْتَشِرُ
بصحوةٍ بارَكَ الباري مَسِيْرَتَهَا   نقيةٍ ما بها شَوْبٌ ولا كَدَرُ
ما دامَ فينا ابنُ صالحٍ شيخُ صحوتنا   بمثلِهِ يُرتجى التأييدُ والظَّفَرُ

فأوقف الشيخ استرسالَ الطالب وقال:

«**أنا لا أوافق على هذا المدح؛ لأني لا أحبُّ أن يُربَطَ الحقُّ بالأشخاص ، معناه أنَّ الإنسان إذا ماتَ قد ييأسَ الناسُ من بعده**».

وطلب تغيير البيت الأخير إلى:

ما دامَ مِنهاجُنا نهجَ الأُولَى سَلَفُوا   بمثلِهَا يُرْتَجى التأييدُ والظَّفَرُ

وأضاف: «**أنا أنصحكم ـ من الآن ، وبعد الآن ـ ألا تجعلوا الحقَّ مربوطاً بالرجال**[٢]».

---

(١) الدعوة العدد: ١٧٧٧/ ٣٠ شوال ١٤٢١ ص٢٦.
(٢) «لقاء الباب المفتوح» اللقاء السابع والأربعون ، السؤال ١١٤٨ ، الأسرة العدد ٩٢ ، ذو القعدة ١٤٢١ ، ص ٢٠ ـ ٢١. =

ب ـ وفي إحدى عُمرات الشيخ مع جمع من أصحابه ، وفي أثناء رجوعهم من المسجد الحرام إلى المسكن مرُّوا بمجموعةٍ من الشباب يلعبون كرةَ القدم ، فوقف الشيخ بينهم ينصحهم ويوجِّههم إلى الصلاة ، لكنَّهم أعرضوا عنه ، ولم يستجيبوا له ، فطلب الشيخُ من مرافقيه أن يذهبوا إلى المسكن ، وبقي هو بينهم ، مصرّاً على أن يذهبوا معه إلى الصلاة ، فأُسْقِطَ في أيديهم ، وتجرَّأ عليه واحدٌ منهم ، فسبَّه بكلماتٍ قبيحةٍ ، ولكنَّ ذلك لم يفتَّ في عزيمةِ الشيخ ، وقابل السّبابَ بابتسامةٍ وحُنُوٍّ ، كل هذا وهم لا يعرفون الشيخ ، وأخيراً استجابوا للشيخ ، ورافقه الشابُّ الذي سبَّه إلى المسكن ، وهناك عرفَ شخصية الشيخ فبكى ، وطلبَ العفو ، فسامحه الشيخ ، وعلَّمه الوضوءَ والصلاةَ ، ومن يومها أصبحَ شاباً صالحاً ملتزماً[1] .

ج ـ ومن ذلك : أنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ أفتى بفتيا ، فاتهمه الناس بتهم شتى ، تتعلق باعتقاده! وذاتَ مرَّةٍ سأله أحدُ طلبةِ العلم عن تلك الفتوى ، وما أثارته . فأجابه الشيخ ، وقال ضمن إجابته : «**إنَّ الناسَ إذا رأوا إنساناً مشهوراً! تكلَّموا عليه ، وطعنوا فيه حسداً من عند أنفسهم**» وفي المساء طلبَ الشيخُ شريطَ التسجيل الذي تضمَّن هذا الكلام ، وطلب حذفه ، وقال : «**قولي إنساناً مشهوراً!! ما كان ينبغي لي قولها ، فهذه فيها تزكيةٌ للنفس**»[2] .

٩ ـ **مزاحه** : كان النبيُّ ﷺ يمزحُ ، ولا يقولُ إلا حقّاً ، وكان الشيخ ابن عثيمين رحمه الله يعملُ على الاقتداء بالمصطفى ﷺ في هذا الجانب ، فكان رحمه الله ، مَرِحاً حلوَ المداعبة ، وكان ذلك ممّا يضفي جوّاً مريحاً على الذين يتعاملون معه ، وله في ذلك مواقف منها :

= **قلت** : لا يخفى ما في بعض هذه الأبيات من خلل في الوزن (ن).

(١) الأسرة العدد : ٩٢ ، ذو القعدة ١٤٢١ ، ص ٢١ .

(٢) الأسر العدد : ٩٢ ، ذو القعدة ١٤٢١ ، ص ٢٠ .

أ ـ اتّصل به أحدُ الصحفيين ليجريَ معه لقاءً ، فقال: يا شيخ بودِّنا أن نجري معك حُواراً.

فقال له الشيخ: «**يا ولدي الحُوار ولدُ الناقة ، فكيف تجريه معي ، لكن ممكن تجري معي محاورةً**».

ب ـ جاءه رجل من إحدى الدول العربية ، فقال له: أنت الشيخ ابن عثيمين؟.

قال: **نعم**.

قال: والنبي يا شيخ إيه حكم طواف الوداع؟.

قال له الشيخ: «**يا أخي جزاك الله خيراً ، ما يجوزُ تقول: والنبي ، لا بدَّ أن تعوِّد نفسَك على ترك هذه الكلمة؛ لأنها من الألفاظ الشركية**» ووعظَه موعظةً لطيفةً جميلةً شكره عليها.

فقال له: حاضر يا شيخ ، لكن إيه حكم طواف الوداع والنبي! فضحك الشيخ.

ج ـ في أيام الحج ، وصل الشيخُ إلى مزدلفة ، فوضع فراشه ، وذهب ليتهيأ للصلاة ، فجاء أحدُ الحجّاج ، فأخذَ الفِراش ، وجلس عليه هو ومجموعته ، فجاء الشيخ ، ولم يجد فراشه ، فقال لأحد مرافقيه: «**اذهب هاتِ فراشنا**»

فذهبَ أحدُهم إلى الرجل ، وقال: كيفَ تأخذ فراشنا ، وطلبَ منه أن يعيده إليهم.

فقال الرجل: يا أخي أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟!

فعاد المرسَل إلى الشيخ يخبره بكلام الرجل. فقال الشيخ: «**ليش ما**

قلتَ له: قد ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً[1]» .

د ـ وقصةٌ طريفةٌ أخرى جرت مع الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: أنه صلَّى في الحرم المكي ، وأراد الذهابَ إلى مكان ما ، فاستقلَّ سيارةَ أجرةٍ . . . ودارت بينه وبين السائق محاورةٌ في بعض المسائل الشرعية ، وكان السائقُ أعرابياً يتكلّم على سجيته .

فسأله السائق: مَنِ الشيخ؟ .

فردَّ الشيخُ: **محمد بن عثيمين!** .

فتعجَّب السائق وردَّ مستفسراً: الشيخ؟؟ .

فأجاب الشيخ: **نعم ، الشيخ!** .

فهزَّ السائقُ رأسه متشككاً مما رآه جرأةً في تقمُّص شخصية الشيخ ابن عثيمين! .

وسأل الشيخُ ابنُ عثيمين السائقَ: **من الأخ؟** .

فأجاب السائق: الشيخ عبد العزيز بن باز!! .

فضحك الشيخ ، وسأله: **أنت الشيخ عبد العزيز بن باز؟!** .

فردَّ السائق: كما أنتَ الشيخ ابن عثيمين[2]؟! .

١٠ ـ **الجانب الجهادي في حياة الشيخ**: كان للشيخ ـ رحمه الله ـ اهتمامٌ بالمسلمين في العالم ، وبالمجاهدين منهم خاصةً ، فكان رحمه الله يفتي بدفع الزكاة لهم ويؤيِّدهم ، ويطَّلع على أحوالهم ، ويلتقي بوفودهم ، وكان ـ رحمه الله ـ يبشِّرُ تلاميذه بانتصارات المسلمين في الشيشان وغيرها ، وله ـ رحمه الله ـ مشاركاتٌ علمية وعملية وإغاثية عديدة

---

(١) ابن عثيمين الإمام الزاهد ص: ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٢) الأسرة: العدد ٩٢ ، ذو القعدة ١٤٢١ ، ص ٢١ .

لمناصرةِ الأقليات المسلمة ، وقضايا المسلمين عامة .

وفي أوائل الجهاد في الشيشان كان الشيخ -رحمه الله- قد خصَّ المجاهدين بدروس في المسجد الحرام في العشر الأواخر منه ، وأنهى كلمته بدعاء بليغ بأن ينصرَهم الله ، ويثبِّتَ أقدامهم .

ومن ذلك أنَّه عُرِضَ عليه فلمٌ عن أحوال المسلمين في الشيشان ، فتأثَّر وبكى ، وخطب خطبةً عصماءَ سمعها الجميع ، وكان على اتصالٍ هاتفي دائم ومستمر وشبه يومي بهم ، خاصة في أوقات الأزمات والشدائد .

وكان - رحمه الله - متابعاً لأحداث فلسطين ، ومَنْ قرأ في كتابه «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» عرفَ اهتمامَ الشيخ بالقضية من بدايتها ، ولَمَّا عَلِمَ بأحداث فلسطين الأخيرة وهو على فراش المرض تأثر كثيراً ، وتحسَّر حتَّى أَشْفَقَ عليه من عنده .

وله الموقف نفسه في نصرة الجهاد في بقاع العالم الإسلامي عامة[١] .

مرضـــه:

أُصيب الشيخ -رحمه الله- بمرض السرطان ، ولم يُكتشف هذا المرض إلا في مرحلة متأخرة ، كما يقول أخوه الدكتور عبد الله ، فقد أُجريت للشيخ رحمه الله فحوصاتٌ مخبرية ، فوجد الأطباءُ أنَّ مرض السرطان قد انتشر في جسم الشيخ كله ، فلم يخبروه بذلك ، وأحسَّ الشيخ أنَّ في الأمر شيئاً ، فألَحَّ على الأطباء أن يخبروه ، وبعد إلحاح شديد من الشيخ أخبره الأطباءُ بالمرض ، فتبسّمَ الشيخُ -رحمه الله- عند إخباره وحَمِدَ الله ، وأثنى عليه ، ثم قال كلمات تُكْتَبُ بِماء الذهب :

«إنَّ الإنسانَ المؤمنَ إذا قامَ بطاعةِ الله ، وَفَعَلَ أوامره ، واجتنبَ

---

(١) انظر في هذا الجانب: محمد بن عبد الله السيف ، مجلة البيان ، عدد ١٦٠ ، ص٦٠ - ٦١ .

نواهيه ، فإنَّه لا يرجو بذلك إلا رحمةَ الله ودخوله الجنة ، ولا يمكِنُ أن يصلَ الإنسانُ إلى الجنة إلا بالموت. إذَن ، كان الموتُ هو الذي يحول بيننا وبين الجنة».

وهـذه الكلمـاتُ تـدلُّ علـى قـوة يقيـن الشيـخ، وحسـن ظنّـه بـالله عزَّ وجلَّ[1].

ولعلَّ مشاغل الشيخ وكثرةَ عطائه ، وانهماكه في تعليم الناس وتوجيههم ، أسهم في نسيان الشيخ نفسَه ، فاكتُشِفَ المرضُ في مرحلة متأخرة ، وهكذا العُظماء من الرجال ، ينيرون للأجيال الطريق وهم يقاسون الأخطار والأضرار.

وبعد اكتشاف المرض قام وُلاةُ الأمر ، جزاهم الله خيراً ، بتهيئة الأجواء العلاجية للشيخ لمعالجة هذا المرض ، فسافر الشيخ ـ رحمه الله ـ صيف عام ١٤٢١هـ إلى أمريكة لأول مرة ، وكانت له مواقفُ دعوية مشهودة هناك ، ورجع ليستكمل علاجه داخل السعودية ، واستمرَّ على عطائه ، وبذله ونفعه للناس.

ولم يرفض الشيخ ـ رحمه الله ـ العلاج الكيماوي في أثناء مرضه كما أُشيع عنه ، وإنما كان ذلك هو ما استقرَّ عليه رأيُ الأطباء ، لأنّ سلبيات العلاج به أكثر من إيجابياته ، ففضَّلوا عدم العلاج به ، وقد قبل الشيخ ما فضَّلوه.

وحرص ـ رحمه الله ـ على استمرار درسه في المسجد الحرام ، وهكذا كان يعظُ الناسَ ويذكِّرهم ويرشدهم ، ويجيب على أسئلتهم حتى آخر ليلة من رمضان ، وكانت كلماتُهُ تشعِرُ بالتوديع ، وقلوب المسلمين وأفئدتُهم تلهجُ بالتضرّع إلى الله جلَّ وعلا دعاءً ووفاءً ومحبة للشيخ ، ولكنَّ قدرَ الله نافذٌ.

---

(١) الدعوة: العدد: ١٧٧٦ ، ص ١٤.

الدرس الأخير للشيخ رحمه الله في الحرم المكي:

الدرسُ الأخيرُ لفقيد الأمة وفقيد العلم في الحرم كان في ليلة الثلاثاء المتمم للثلاثين من رمضان لعام ١٤٢١هـ ، وكان صوتُ الشيخ ـ رحمه الله ـ يشيرُ إلى ما وصلت إليه حاله من تدهور في الصحة العامة ، ونُحولٍ شديد في جسمه ، حدَّث به عنه كلُّ مَنْ رآه ، لا سيما وأنَّ مرض السرطان معروفٌ عنه أنه يسبِّبُ آلاماً رهيبة ومبرحة للمصاب به.

وكان مَنْ يسمعُ صوتَ الشيخ يعلمُ مقدارَ ما يعانيه ، ولكنَّه كان مصرّاً على إلقاء درسه كالعادة، حتى لو لم يستمرَّ إلا ثلثَ ساعة، أو أقلَّ من ذلك.

بدأ الشيخُ بالحديث بصوت أثقلته الآلام ، فتحدَّثَ عن العيد ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى جعل للمسلمين ثلاثة أعياد ـ الأضحى والفطر والجمعة ـ حُقَّ للمسلمين أن يفرحوا فيها ، بما أنعم الله عليهم من توفيق للأعمال الصالحة ، وفصّل فيها قليلاً ، ثم انتقل إلى الإجابة على الأسئلة. .

وقد أطال الشيخ ـ رحمه الله ـ درسه تلك الليلة على غير ما اعتاده تلاميذه في تلك السنة من اختصار، حتى إنَّ الدرس في الأيام السابقة لذلك اليوم ، ربما لم يكد يستغرق العشرين دقيقة ، إلا أنَّ الدرس الأخير أخذ أكثر من خمس وثلاثين دقيقة أجاب فيه ـ رحمه الله ـ على أسئلة كثيرة!!.

ثم كانت آخر كلمات نطق بها الشيخ ، فأوشك على البكاء ، وأبكى من استمع له!!.

قال الشيخ بصوته المتعب: «**وحيث إنَّ هذه الليلة هي ليلة الثلاثين من رمضان ، فسيكون هذا آخرَ درس لهذا العام!**».

كان صوتُ لسانِ الحال أعلى من ذلك الصوتِ المثقَلِ بالآلام ، فكأنَّ الشيخ لم يقل: «**لهذا العام**» ، وكأنَّ من سمعوه لم يسمعوه يقول إلا: آخر درس إلى الأبد!.

لَعَمْرُكَ ما الرزيةُ فَقْدُ مَالٍ ولا شاةٍ تموتُ ولا بعيرُ
ولكنَّ الرزيةَ فَقْدُ حُرٍّ يموتُ لموتِهِ خلقٌ كثيرُ

يوم وفاته:

وأُدخل الشيخ المستشفى التخصصي بجدة ، وكانت حالته مستقرةً يوم الأربعاء ، ـ وهو يوم وفاته ـ حتى الساعة الواحدة ظهراً ، فقد كان مستلقياً مفتحاً عينيه ، وقد بدا عليه التعب الشديد ، وبدأ العرقُ يخرج منه ، وكأنَّه يشعر بشيءٍ ، ولوحظ أنَّه يكرِّرُ ذكرَ الله ، وتبيَّن ذلك في حركة أصبعيه وشفتيه ، وقد كان القلبُ وجميعُ أجهزته طبيعيةً ، وكان الأكسجين موضوعاً على فم الشيخ إلى أعلى درجته ، ومع ذلك كان لدى الشيخ هبوطٌ في الأكسجين ، فاستُدعي الأطباء ، فحضروا جميعاً إلى غرفة الشيخ ، فقالوا حسب خبرتهم: إنَّ هذا بدايةُ خروج الروح ، فبدأ الموجودون عنده في الغرفة ، ومنهم أخوه عبد الرحمن ، وابنه عبد الرحمن يذكرون الله ، ويقرؤون عليه سورة يس ، وبعدها شاهدوا رعشةً خفيفةً جداً لدى الشيخ ، فخرجت الروح ، وتوقفت جميع الأجهزة ، وتوفي الشيخ ـ رحمه الله ـ الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء ١٥/ ١٠/ ١٤٢١هـ وعمره (٧٤) عاماً.

وقد تناقلت وكالاتُ الأنباء نبأ وفاته على الفور فيما تصدَّر نشرات الأخبار في المحطات الإذاعية والتلفازية العربية وغير العربية[١].

جنازة الشيخ:

صلّى المسلمون على فقيد الأمة في المسجد الحرام ، عصر يوم الخميس ١٦/ ١٠/ ١٤٢١هـ ، وكانت الجنازةُ مهيبةً ، والمشهدُ مؤثراً ، حيث توافد مئات الآلاف للصلاة عليه ، وقد قدِّر عدد الذين صلُّوا عليه بأكثر من نصف مليون مصلٍّ ، فلو رأيتَ تلك الجموع التي توافدت لتحضر

---

(١) الدعوة: العدد ١٧٧٦ ، ص ١٥ .

الصلاة والدفن. . . وجوه واجمة ، وقلوب حزينة ، غصَّ الحرم المكي بها ، الأعناق تشرئبُّ لتنظر إلى ذلك المسجَّى. وما إن انتهت صلاةُ العصر ، ونادى المنادي: الصلاة على الأموات يرحمكم الله ، حتى تفطَّرت القلوبُ ، وبكتِ العيونُ ، وبعد الصلاة تسابقت الجموع لحمله ، جموع تتبع ، وجموع تنتظر في المقبرة ، وجموعُ تلحق لتدرك. لفيفٌ عظيمٌ من العلماء ، وطلبة العلم والعوام ، ولَمَّا أخرجت الجنازة من الحرم اكتظَّت الشوارع بمن سار معها مرة أخرى عند مغادرتهم للمكان. وما انتهت مراسم الدفن إلا في الساعة الخامسة والنصف عصراً من شدة الزحام.

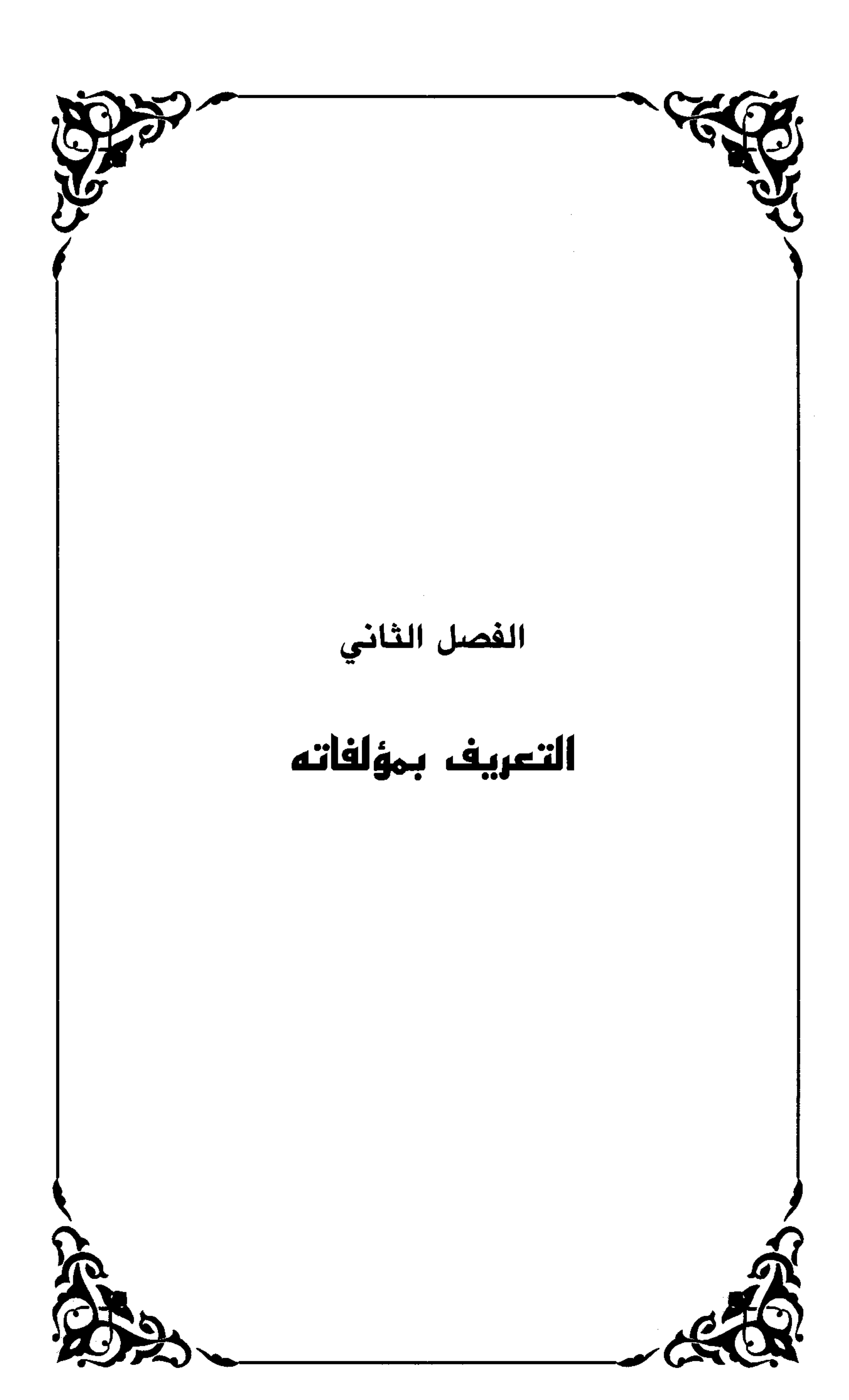
وقد رثاه محبوه وتلاميذه ، وأظهروا شيئاً من مشاعرهم تجاه فقيدهم ، وقد قيل فيه أكثر من ثلاثمئة قصيدة رثاءٍ.

وقد وقف عددٌ كبير من العلماء والمشايخ على شفير قبره للمشاركة في الدفن؛ منهم فضيلة الشيخ عبد الله البسام ، وفضيلة الشيخ محمد السبيِّل ، والشيخ صالح بن حميد ، وغيرهم.

وقد صُلِّي عليه صلاةَ الغائب في كثير من البلاد الإسلامية ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وعوَّض المسلمين عنه خيراً.

* * *





الفصل الثاني

التعريف بمؤلفاته



التأليف:

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يريد التفرُّغ للتأليف ، فنصحه بعض إخوانه أنَّ الناس بحاجة إلى التعليم ، وأنَّ الله تعالى قد يهيئ له مَنْ يجمع علمه الذي علَّمه ، فيجتمع له الأمران ، وكان له ذلك ، وأُخرجت أشرطته المسموعة كتباً ، وعمَّ النفعُ بها فئةً عظيمة من المسلمين من عرب وعجم؛ فقد تُرجم كثيرٌ من كتبه إلى أكثر من لغة .

ولم يكن الشيخ ـ رحمه الله ـ حريصاً على «حفظ حقوق الطبع» ولا آكلاً بعلمه وكتبه ، ولو أراد وطلب «ريالاً واحداً» على كل نسخة من كتبه ، لصار مليونيراً! فقد طُبع للشيخ ـ رحمه الله ـ أكثرُ من «مليون» نسخة من كتبه في حياته ، ولكتابه «الشرح الممتع» نصيب الأسد من كتبه تلك؛ فقد طبع منه عشرات الآلاف من النسخ .

آثاره العلمية:

للشيخ آثار علمية كثيرة في مجالات متعدِّدة ، منها المسموع ، والمكتوب ، في العقيدة ، والتفسير ، والفقه ، والأخلاق ، والسلوك ، والمعاملات ، وغيرها ، استفاد منها عامةُ الناس وطلبةُ العلم ، وكان الإقبالُ عليها كبيراً ومنقطعَ النظير ، وما ذاك إلا لثقة الناس بالشيخ وبعلمه ، ولما كانوا يلمَسون في شخصيته من الأهلية والكفاءة التامة التي ترشِّحه إلى إصدار الأحكام الشرعية ، والتصدِّي للفتوى والتأليف .

وقد تميَّزت كتبه بالوضوح : وضوح في الألفاظ ، ووضوح في المعاني ، وبعد عن التطويل المملِّ ، والاختصار المخل ، والتعقيد ، ودعمٍ بالأدلة الصحيحة ، والتعليلات والأقيسة الصريحة ، مع إبداع في التبويب ، وحُسنٍ في التقسيم والتفصيل في المسائل ، حتى يُسهل على

الطلبة والمستفتين تحليل المسألة وفهمها ، واهتمام بحسن الترتيب ، ودقة العبارة.

وتقسم آثار الشيخ العلمية إلى قسمين:

القسم الأول: ما قام الشيخ بتأليفه وتحريره بنفسه.

والقسم الثاني: ما كان أصلُه درساً علمياً ، أو شرحاً لكتاب ، أو محاضرة عامة ، ثم فُرِّغ من الأشرطة المسموعة أو المرئية[1].

وقد صدرت لكتبه طبعات عِدَّة ، ومن دور نشر عديدة ، فتجد للكتاب الواحد أكثر من طبعة في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، ثم تولَّت الآن «مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية» الإشرافَ على طباعة كتبه والتنسيق مع دور النشر لطبعها ونشرها وتوزيعها.

ولتعدُّد طبعات الكتب وكثرتها ، واختلافها من حيث الحجم وعدد الصفحات ، ودور النشر ، ومكانها ، وزمانها ، فإننا خالفنا القاعدة المتبعة في هذه السلسلة ، بذكر معلومات (بيلوغرافية) عن الكتاب؛ فلم نذكر إلا العنوان ، وأسقطنا ذكر دار النشر ، ومكان وسنة الطبع ، وعدد الصفحات أو المجلدات.

وأودُّ أن أشيرَ هنا إلى أمرٍ مهم فيما يخصُّ الشيخ ـ رحمه الله ـ وغيره من إخوانه العلماء؛ وهو أنَّ كثيراً من الدروس والمحاضرات التي كانوا يلقونها في حلقات العلم على طلبتهم قد فُرِّغت من أشرطة التسجيل كما هي ، ثم طبعت على حالها دون تحرير أو تنقيح.

وقد عمد إلى ذلك صنفان من الناس:

---

(١) مجلة الحكمة العدد الثاني: ص ٣٥ ، وصفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد محمد بن عثيمين لعبد الله الطيار: ص ، ٢٠ ، مجلة الشقائق عدد: ٤١ ، ص ٢٠ ـ ٢١.

الصنف الأول: كان قصدُه حسناً ، ونيته خالصةً ، وكان حريصاً على انتشار علم هؤلاء العلماء الأعلام ، وبثِّه بين المسلمين.

والصنف الآخر: لم يكن قصده إلا الإتجار بعلم العلماء وكتبهم ، وقد أخطأ هذا الصنف في قصده وفي فعله.

وكلا الصنفين ربما يتوافقان في خطأ الفعل؛ وهو طبع الدروس والمحاضرات العلمية كما هي ، من دون تحرير أو تنقيح.

ومعلومٌ أنَّ أسلوبَ الدرس غير أسلوب الكتابة؛ من حيث جزالة العبارة ورِكَّتُها ، واستخدام الكلام الفصيح وعامِّيه. بل إننا نجد في الأسلوب الدرسي استطراداتٍ كثيرة تقتضيها طبيعة الدارس ، أو ربما أجاب العالِم على سؤال يعرض من أحد المستمعين ليس له قريب صلة بموضوع الدرس ، وأحياناً يأتي الشيخ بالطرفة والنكتة اللطيفة التي تُذهِبُ ملل المستمعين ، وتُروِّح عنهم.

فيأتي بعد ذلك من يقوم بتفريغ الدرس المسموع من الأشرطة ، والعمل على طبعه كما هو ، من دون تحرير أو تمحيص لما فيه.

فأقول: فليَتَّقِ الله من يقوم على طبع كتب العلماء؛ فإنها أمانة يُسأل عنها أمام الله عزَّ وجلَّ.

ولقد أحسن القائمون على «مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية» عندما عمَدوا إلى إخراج كتب الشيخ إخراجاً جديداً محرَّراً مهذَّباً منقَّحاً ، فجزاهم الله عن الشيخ وعلمه خير الجزاء.

وممن أحسن أيضاً في خدمته لكتب الشيخ طلابُه من شباب (مسجد سالم العلي) ، بالكويت؛ حيث اعتنوا بشرح الشيخ للعقيدة السفارينية عناية بالغة ، وخدموه خدمة متميزة ، واستغرق العمل منهم في هذا الكتاب أكثر من سنتين. وقد بينت جهدهم المشكور المأجور ، إن شاء الله ، في محلِّه عند الحديث عن «شرح العقيدة السفارينية» برقم ١٥.

* * *

منهج الشيخ في عرض العقيدة والفقه والتفسير من خلال مؤلفاته

أرى لزاماً عليَّ الحديث عن منهج الشيخ في التأليف في كلِّ موضوع من موضوعات العلوم الشرعية التي ألَّف فيها الشيخ ، وقد سَبَقنا إلى ذلك إخوةٌ فضلاء ، كتبوا في منهج الشيخ في التفسير ، ومنهجه في الفقه ، ومنهجه في العقيدة؛ فجزاهم الله خيرَ الجزاء[1].

ونحن ، في هذه العُجالة ، نقتبس مما كتبوا ، مع بعض التصرُّف والاختصار ، حسبما تقتضيه طبيعة الكتاب.

أ ـ منهجه في عرض العقيدة[2]:

إنَّ المتأمل في جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ المتنوعة في بيان العقيدة وتوضيحها يستخلصُ جملةً من السمات المنهجية المطردة التزمها الشيخُ ، وسار عليها في تقريراته جميعها ، وهي سِماتٌ سلفية ، لا يختصُّ بها ـ رحمه الله ـ ، بل هو متَّبعٌ لطريقة السلف المتقدمين ، ولكن اجتمع عنده ما تفرَّق عند غيره؛ فمن هذه السمات:

---

(١) وهي أبحاث مفرقة نُشرت في العدد ١٦٠ من مجلة البيان.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين في بيان العقيدة ومنهجه في تقريرها؛ حمد بن عبد الرحمن القاضي ، مجلة البيان ، العدد ١٦٠ ، ص ٣٤ ـ ٤٣.

١ ـ تعظيمُ شأنِ التوحيد:

فقد كان ـ رحمه الله ـ يلهجُ دوماً في تقريراته المسموعة والمكتوبة بأهمية تحرير أمر الاعتقاد، والبداءة به، وتعظيمه، وتفخيمه، إذ هو الأساس والأصل، والأعمال بناء وفرع، ومن ذلك قوله رحمه الله:

«إنَّ علمَ التوحيد أشرفُ العلوم، وأجلُّها قدراً، وأوجبُها مطلباً؛ لأنَّه العلمُ بالله تعالى وأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاحُ الطريق إلى الله، وأساس شرائعه، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ **[الأنبياء: ٢٥] وشهد تعالى لنفسه بالوحدانية، وشهد له بها ملائكته وأهل العلم قال الله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ **[آل عمران: ١٨].**

وإذا كان هذا شأنُ التوحيد كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلّماً وتدبّراً واعتقاداً، ليبني دينه على أساس سليم واطمئنان وتسليم، يسعد بثمراته ونتائجه».

٢ ـ إبراز آثار العقيدة وثمراتها على الفرد والأمة:

وهذه خاصية عظيمة اعتنى الشيخ ـ رحمه الله ـ بها، فالعقيدة في نظره ليست متناً يُحْفَظُ أو يشرح فحسب، ثم تبقى معرفةً ذهنيةً لا أثرَ لها في حياة الفرد والأمة، فهو يحرص ـ رحمه الله ـ ألاّ يذكرَ مسألةً من مسائل الاعتقاد إلا ويتبعها بذكر ثمارها، كما صنع عند الحديث عن أركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، من تعداد الثمرات لكلِّ ركن على حدةٍ، ثم ختم ببيان أهداف العقيدة الإسلامية على وجه العموم بما يَكْشِفُ عن الفهم الثاقب لآثار هذه العقيدة على الفرد والأمة؛ وهي على سبيل الاختصار:

أولاً: إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده.

ثانياً: تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة.

ثالثاً: الراحة النفسية والفكرية.

رابعاً: سلامة القصد والعمل من الانحراف عن عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين.

خامساً: الحزم والجد في الأمور.

سادساً: تكوين أمة قوية تبذل كلَّ غالٍ ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمه.

سابعاً: الوصولُ إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات، ونيل الثواب والمكرمات.

٣ ـ الاعتصام بالكتاب والسنة:

ولمَّا كان الكلام في الله تعالى والقول عليه من أخطر المقامات، تعيَّنَ لزومُ ما جاء في نصوص الوحيين: الكتاب والسنة، والحذر من التقدُّم بين يدي الله ورسوله ﷺ مهما كانت المسوِّغات، وسلوك سبيل السلامة والأدب، ولهذا حرَص، ـ رحمه الله ـ على ذلك؛ حيث قال:

«وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأنَّ ما سمَّى الله به نفسه، وما وصف الله به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ فهو حقٌّ على حقيقته، وعلى ظاهره، ولا يحتاجُ إلى تحريف المحرِّفين، بل هو أبعدُ ما يكون عن ذلك.

وهو أيضاً لا يمكِنُ أن يفهمَ منه ما لا يليقُ بالله عزَّ وجلَّ من صفات النقص أو المماثلة للمخلوقين، وبهذه الطريقة المثلى يسلَمون من الزَّيغ والإلحاد في أسماء الله وصفاته، فلا يثبتون لله إلا ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، غير زائدين على ذلك ولا ناقصين منه، ولهذا

كانت طريقتهم أنَّ أسماء الله وصفاته توقيفيّة. . . . »[1].

٤ ـ الاستدلال بالعقل مع النقل واستعمال الأقيسة ما أمكن:

فقد كان ـ رحمه الله ـ يرتِّبُ الأدلةَ في إثبات المسائل العقدية مبتدئاً بالقرآن الكريم ، مثنِّياً بالسنة الصحيحة ، مثلِّثاً بالعقل فيما كان للعقل فيه مساغٌ ، ليكونَ أبلغ في طمأنينة القلب بتوافر الأدلة وموافقة المعقول المنقول ، فقد استدل الشيخ رحمه الله بالعقل في العديد من المسائل العقدية كإثبات وجود الله ، وإبطالِ الشرك ، وإثباتِ البعث ، والردِّ على من احتجَّ بالقدر على ترك الطاعات وفعل المحرمات ، وكثير غير ذلك ، كما استعمل الأقيسةَ العقليةَ الصحيحةَ التي استعملها السلفُ المتقدمون في مثل مسألة نفي الصفة إثبات لنقيضها ، وإلزام المخالفين باللوازم الباطلة وغير ذلك .

وقد كان ـ رحمه الله ـ يزجر عن الأسئلة الفاسدة المبنية على لوثة التكييف العقلي ، كمن استشكل إثبات النزول الإلهي إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير[2] .

٥ ـ تقريب المعاني واجتناب ما يؤدي إلى اللبس:

وقد اعتمد ـ رحمه الله ـ طريقة التلخيص والتقريب لطائفة من المتون العقدية الصعبة ، ليسهل تصورُّها وإدراك معانيها ، وقد وُفِّق رحمه الله في ذلك توفيقاً عظيماً ، وليس مراده بالتلخيص ـ كما يظنُّ بعضُ الناس ـ مجرّدَ الاختصار ، وإنَّما إعادة عرض الموضوع بما يحصل به البيان ، وإن استدعى الشرحَ والإضافةَ أحياناً. وهذا ما فعله ـ رحمه الله ـ حين صنع

---

(١) منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل من مجموع الفتاوى والرسائل: ٥/ ١٨٨ .

(٢) كما هو مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى حين قال: «الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة». (ن)

لتلك الكتب من التراجم ، والعناوين ، والتعريفات والتقسيمات ، والإضافات ، ما جعلها كالعروس المجلاة؛ فهو مثلاً يدرِجُ في «تلخيص الحموية» قاعدةً نافعةً استفادها من كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعالى «درء تعارض العقل والنقل» ، وذكر خلاصتها.

أما ما ألّفه ابتداءً ، فهو في غاية السهولة والبيان في ألفاظه وتراكيبه ، وكثرة أمثلته ووضوحها ، ولعلّ هذا هو الذي جعله لا يحتفي بتدريس المنطق إلا أن ترد بعض المصطلحات المنطقية عرضاً ، فيقوم بشرحها.

وقد كان ـ رحمه الله ـ يراعي حال العامة ، وعدم مبادأتهم بالمسائل المشكلة ، والخلافات العقدية التي لا تبلغها عقولهم ، ويتشوّشون من سماعها ، ولذلك فقد كان خطابه العام لجمهور الناس التعبير بالجمل القرآنية والنبوية الواضحة؛ ولهذا فقد قال رحمه الله:

«من الحكمةِ في الدعوة ألا تباغتَ الناسَ بما لا يمكنهم إدراكُه ، بل تدعوهم رويداً رويداً حتى تستقرَّ عقولهم.

فإن قيل: أندع الحديثَ بما لا تبلغه عقول الناس؟.

أجيب: لا ندعه ، ولكنْ نحدّثهم بطريقةٍ تبلغُها عقولهم ، وذلك بأن ننقلهم رويداً وريداً حتى يتقبَّلوا هذا الحديث ، ويطمئنوا إليه ، ولا ندعُ ما لا تبلغُه عقولهم ، ونقول: هذا شيءٌ مستنكرُ لا يتكلَّمُ به. . .»[1].

٦ ـ مواجهة النوازل العقدية:

لقد دهم المسلمين في هذا العصر من النوازل العقدية ما اشتدت الضرورةُ فيه إلى علماء ربانيين ، يُثبّتون الناسَ ، ويتمسَّكون بالكتاب ، ويُنزلون الأوضاع الطارئة على الأصول الثابتة ، وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ في طليعة هؤلاء الموفَّقين؟ فلم يكتفِ بالتقعيد النظري لمسائل الاعتقاد ، أو حتى منازلة الفرق العتيقة من أهل القبلة وغيرهم ، بل ضمَّ إلى ذلك

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢.

مواجهةَ ما استجدَّ مِنْ فرق الضلال وكشف زيغها ، وما شاع من أفكار منحرفة ، ودعوات باطلة ، وأعمال وألفاظ منافية للعقيدة الصحيحة ، فحذَّر من الإلحاد المتمثل بالشيوعية ، والمادية ، وفصَّل القولَ في الحكم بغير ما أنزل الله ، وأنكر الدعوةَ إلى التقريب بين الأديان ، وغير ذلك من المسائل المعاصرة.

فهذه أبرز سمات منهجه في العقيدة التي قررَّها ، وساهم في إرسائها.

ب ـ منهجه في عرض الفقه[1]:

اشتهر الشيخ ـ رحمه الله ـ بين عامة الناس ، وعُرِفَ بما له من علم بالفقه وأصوله ومسائله ، وقد تأثر رحمه الله في عرض الفقه ومسائله بشيخه **الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي** ـ رحمه الله ـ ، كما صرَّح أكثر من مرة.

أبرز مميزات منهجه الفقهي:

١ ـ تبنِّيه لآراء الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ، وعنايته بكتبهما: فللشيخ ـ رحمه الله ـ تعليقٌ على «اختيارات شيخ الإسلام» للبعلي الحنبلي ، ومراجعة دائمة لمجموع الفتاوى ، وقرأ للطلبةِ في دروسه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » لشيخ الإسلام ، وعلَّق عليه ، وله مختارات من «أعلام الموقعين» ، و«زاد المعاد» ، و«الطرق الحكمية» ، وثلاثتها لابن القيم.

ولم يكن تبنِّيه لآراء الشيخين نابعاً من التقليد الأعمى ، بل كان متجرِّداً للحق ، فحيثما وجد الحقَّ فهو ضالته ومطلبه ، فقد خالف شيخَ الإسلام في مسائلَ أكثر من مخالفة شيخه السعدي لشيخ الإسلام.

٢ ـ الفقه المبني على الدليل ، المقرون بالتعليل غالباً: وبيان

---

(١) انظر: المنهج الفقهي للشيخ محمد بن صالح العثيمين؛ خالد بن علي المشيقح ، مجلة البيان ، العدد ١٦٠ ، ص ٥٢.

الحكمة وأسرار الشريعة أحياناً؛ فالشيخ يوجِبُ العمل بالدليل ، ويحرم مخالفته . فمن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ:

«العباداتُ لا تتم إلا بالإخلاص لله عزوجلّ ، ومتابعة النبي ﷺ ، والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كانت موافقةً للشرع في ستة أمور: السبب ، والجنس ، والقدر ، والكيفية ، والزمان ، والمكان»[1].

ولهذا خالف المذهبَ في كثير من المسائل؛ كمسألة تقسيم المياه ، ونقض الوضوء بمسِّ المرأة بشهوة ، وطلاق الثلاث ، وغير ذلك[2].

كما أنَّه إذا رجَّح قولاً ، أو أفتى بمسألة ، ثم ظهر له خلاف ذلك لدليل ترجح عنده ، رجع عن قوله الأول:

ومن ذلك مثلاً أنه كان يرى أنَّ دم النفاس لا حدَّ لأكثره ، ثم تبيَّنَ له أنَّ حدَّه أربعون يوماً ، فرجع إلى ذلك.

ومثله مسألة رقص النساء في الأفراح؛ فإنه كان قد أفتى بجواز ذلك ، ثم رجع عن فتواه ، لَمَّا تبين له ما يترتب على ذلك من منكرات.

٣ ـ عنايته بأصول الفقه ، وقواعد الفقه ، وعلم النحو:

وقد أكسبه ذلك مَلَكَةً فقهيةً تقوم على تخريج الفروع على الأصول ، ورد الجزئيات إلى الكليات ، والمقدرة على الاستنباط؛ فقد قرأ الشيخ في دروسه كتاب «القواعد الفقهية» لابن رجب ، وعلَّق عليه. وألَّف قديماً: «الأصول من علم الأصول» ، وشرحه في المسجد. وقد كثُر في فقه الشيخ ـ رحمه الله ـ استعمالُ القواعد الفقهية والأصولية ، وردُّ جزئيات المسائل

---

(١) الشرح الممتع: ١/ ٣٤٧.
(٢) انظر الشرح الممتع بمجلداته الثمانية ، ورسالة الدماء الطبيعية للنساء وغيرها.

إليها ، لِمَا فيها مِنه سهولة العلم ، والإحاطة بأحكام الفروع والإلمام بمدلولاتها.

٤ ـ العناية بالفروق والتقاسيم الفقهية:

كان للشيخ ـ رحمه الله ـ نصيب من هذا. فقد شرح في دروسه كتاب شيخه: «الأصول والقواعد الجامعة والفروق والتقاسيم النافعة» ، وهناك أمثلةٌ كثيرةٌ مبثوثة في كتبه تدل على عنايته بالفروق والتقاسيم؛ ومن ذلك:

ـ الفرق بين القضاء والأداء[١].

ـ الفرق بين شرط العقد والشروط فيه[٢] وغير ذلك.

٥ ـ سلوك طريقة القرآن الكريم فيما يتعلق بفقه الفرائض شرحاً وتأليفاً:

وهذه الطريقة أكثر فائدةً من غيرها في تقريب العلم وتسهيله وحفظه وجمعه. وللشيخ في هذا كتاب «تسهيل الفرائض»[٣].

* * *

---

(١) الشرح المتمتع ٢/٣٨.

(٢) الشرح المتمتع ٨/ ٢٠٥.

(٣) انظر التعريف به برقم (٢) ص (٨٣).

مسرد مؤلفات الشيخ حسب الموضوعات

هذه قائمة ببعض مؤلفات فضيلة الشيخ ـ رحمه الله ـ كما وردت على الموقع الإلكتروني لجمعية الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية على شبكة الإنترنت[1].

أ ـ التفسير

١ ـ أصول في التفسير.

٢ ـ تفسير الفاتحة والبقرة (١ ـ ٣).

٣ ـ تفسير سورة الكهف.

٤ ـ تفسير جزء عم.

ب ـ التوحيد

٥ ـ مجموع الفتاوى (١ ـ ١٠).

٦ ـ رسالة في القضاء والقدر.

٧ ـ منهاج أهل السنة والجماعة.

٨ ـ أسماء الله وصفاته.

٩ ـ القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى.

---

(١) أورد الأستاذ محمد خير رمضان يوسف مؤلفات الشيخ بكتاب مستقل، ذكر فيه ١٧٥ كتاباً ورسالة، ورتبها ترتيباً ألفبائياً؛ ذاكراً اسم الناشر، ومكان وتاريخ الطبع، وعدد الصفحات. إلا أنه لم يذكر بيانات بعض العناوين التي ذكرها. وقد طبع كتابه هذا في دار طويق بالرياض سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

١٠ ـ القول المفيد في شرح كتاب التوحيد (١ ـ ٢).

١١ ـ تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد.

١٢ ـ تقريب التدمرية.

١٣ ـ شرح الأصول الثلاثة.

١٤ ـ شرح العقيدة الواسطية.

١٥ ـ شرح كشف الشبهات.

١٦ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة.

١٧ ـ مذكرة على العقيدة الواسطية.

١٨ ـ الإبداع في كمال الشرع.

ج ـ الفقه

١٩ ـ أحكام الأضحية والذكاة.

٢٠ ـ أخطاء يرتكبها بعض الحجاج.

٢١ ـ الخلاف بين العلماء.

٢٢ ـ الشرح الممتع (١ ـ ٨).

٢٣ ـ المداينة.

٢٤ ـ المنهج لمريد الحج والعمرة.

٢٥ ـ مجالس شهر رمضان.

٢٦ ـ ثمانية وأربعون سؤالاً في الصيام.

٢٧ ـ رسالة في الحجاب.

٢٨ ـ رسالة في الدماء الطبيعية للنساء.

٢٩ ـ كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة؟

٣٠ ـ مجموع الفتاوى (١١ ـ ٢٠).

٣١ ـ حكم تارك الصلاة.

٣٢ ـ رسالة في سجود السهو.

٣٣ ـ رسالة في زكاة الحلي.

٣٤ ـ مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب.

٣٥ ـ الزواج.

٣٦ ـ مناسك الحج والعمرة.

٣٧ ـ فصول في الصيام والتراويح والزكاة.

٣٨ ـ بحوث وفتاوى في المسح على الخفين.

٣٩ ـ ستون سؤالاً في أحكام الحيض والنفاس.

٤٠ ـ مجموعة أسئلة تهم الأسرة المسلمة.

٤١ ـ صلاة النبي ﷺ.

٤٢ ـ رسالة في مواقيت الصلاة.

٤٣ ـ شرح دعاء قنوت الوتر.

٤٤ ـ كيف يتطهر المريض ويصلي.

د ـ الحديث

٤٥ ـ شرح الأربعين النووية.

٤٦ ـ شرح رياض الصالحين.

هـ ـ الفرائض

٤٧ ـ تسهيل الفرائض.

٤٨ ـ تلخيص فقه الفرائض.

و ـ الأصول

٤٩ ـ الأصول من علم الأصول.

ز ـ المصطلح

٥٠ ـ شرح المنظومة البيقونية.

٥١ ـ مصطلح الحديث.

ح ـ اللغة

٥٢ ـ مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

ط ـ عام

٥٣ ـ الاعتدال في الدعوة.

٥٤ ـ زاد الداعية إلى الله.

٥٥ ـ الذكر الثمين.

٥٦ ـ كتاب العلم.

٥٧ ـ حقوق دعت إليها الفطرة.

٥٨ ـ المناهي اللفظية.

٥٩ ـ من مشكلات الشباب.

٦٠ ـ تعاون الدعاة وأثره في المجتمع.

* * *

مؤلفات الشيخ التي عرضناها وعرَّفنا بها في هذا الكتاب مرتبةً ترتيباً ألفبائياً

١ ـ أصول التفسير.
٢ ـ تسهيل الفرائض.
٣ ـ تفسير القرآن الكريم.
٤ ـ تقريب التدمرية.
٥ ـ حقوق دعت إليها الفطرة.
٦ ـ حكم تارك الصلاة.
٧ ـ الخلاف بين العلماء.
٨ ـ الذكر الثمين.
٩ ـ رسالة الحجاب.
١٠ ـ زاد الداعية.
١١ ـ الزواج في الشريعة.
١٢ ـ شرح أصول الإيمان.
١٣ ـ شرح الأربعين النووية.
١٤ ـ شرح البيقونية.
١٥ ـ شرح رياض الصالحين.
١٦ ـ شرح العقيدة السفارينية.
١٧ ـ شرح العقيدة الواسطية.
١٨ ـ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد.
١٩ ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع.

٢٠ ـ الضياء اللامع من الخطب اللامع.

٢١ ـ فتاوى أحكام الصيام.

٢٢ ـ فتاوى أركان الإسلام.

٢٣ ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية.

٢٤ ـ فصول في الصيام.

٢٥ ـ فقه العبادات.

٢٦ ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

٢٧ ـ القول المفيد على كتاب التوحيد.

٢٨ ـ كتاب العلم.

٢٩ ـ مجالس شهر رمضان.

٣٠ ـ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين.

٣١ ـ مجموعة أسئلة عن الأسرة المسلمة.

٣٢ ـ مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

٣٣ ـ مذكرة على العقيدة الواسطية.

٣٤ ـ مصطلح الحديث.

٣٥ ـ من مشكلات الشباب.

٣٦ ـ المناهي اللفظية.

٣٧ ـ المنتقى من فرائد الفوائد.

* * *

١ ـ أصول في التفسير

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وسبعة مباحث:

المقدمة: ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ فيها «أنَّه من المهم في كلِّ فنٍّ أنْ يتعلَّمَ المرءُ من أصوله ما يكون عوناً له على فهمه وتخريجه على تلك الأصول، ليكونَ علمُه مبنياً على أسس قوية، ودعائمَ راسخةٍ، وكما قيل: **من حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول**».

وذكر أنَّ علم التفسير من أجلِّ فنون العلم، بل هو أجلُّها وأشرفُها؛ لأنَّ فيه تبيينُ معاني كلام الله عزَّ وجلَّ.

وقد وضع أهلُ العلمِ له أصولاً، كما وضعوا لعلم الحديث أصولاً، ولعلم الفقه أصولاً.

وقد ساق ـ رحمه الله ـ في المقدمة أيضاً ما تضمَّنه الكتاب من مباحثَ، ملخصاً إياها فيما يأتي:

المبحث الأول ـ القرآن الكريم:

وبَيَّن فيه الموضوعات التالية:

١ ـ متى نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ؟ ومَنْ نزل به عليه مِنَ الملائكة؟.

٢ ـ أول ما نزل من القرآن الكريم.

٣ ـ نزول القرآن الكريم على نوعين: سببيٌّ، وابتدائيٌّ.

٤ ـ القرآن الكريم: مكي، ومدني

٥ ـ بيانُ الحكمة من نزوله منجَّماً (مفرّقاً)

٦ ـ ترتيبُ القرآن الكريم.

٧ ـ كتابة القرآن الكريم ، وحفظه في عهد النبي ﷺ.

٨ ـ جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٩ ـ جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه .

المبحث الثاني ـ التفسير:

وبيَّن فيه الموضوعات التالية:

١ ـ معنى التفسير لغةً واصطلاحاً ، وبيان حُكْمِه ، والغرض منه.

٢ ـ الواجب على المسلم في تفسير القرآن.

٣ ـ المرجع في التفسير إلى ما يأتي:

أ ـ كلام الله تعالى بحيث يفسّر القرآن بالقرآن.

ب ـ سنَّة الرسول ﷺ؛ لأنَّه المبلِّغُ عن الله تعالى ، وهو أعلم الناسِ بمراد الله تعالى في كتاب الله تعالى.

ج ـ كلام الصحابة رضي الله عنهم ، لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير ، لأنَّ القرآن الكريم نزل بلغتهم وفي عصرهم[1].

د ـ كلام كبار التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم.

هـ ـ ما تقضيه الكلماتُ من المعاني اللغوية أو الشرعية حسب السياق القرآني.

٤ ـ أنواع الاختلاف الوارد في التفسير المأثور.

٥ ـ ترجمة القرآن الكريم: تعريفها ، وأنواعها ، وحكم كل نوع منها.

٦ ـ أشهر المفسرين من الصحابة والتابعين؛ أمثال علي بن

---

(١) قلت: بل قد شهدوا تنزيله ، وشهدوا عمل النبيِّ ﷺ به (ن).

أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ومجاهد بن جبر المكي.

المبحث الثالث - أقسامُ القرآن الكريم من حيث الإحكام والتشابه:

ذكر - رحمه الله- في هذا المبحث موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه. الذي بيَّنه الله سبحانه في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

كما ذكر أنَّ التشابه الواقع في القرآن الكريم نوعان:

النوع الأول: **حقيقي**، وهو ما لا يمكِنُ أن يعلمه البشر، كحقائق صفات الله عزَّ وجلَّ.

النوع الثاني: **نسبي**، وهو ما يكونُ مشتبهاً على بعضِ الناس دونَ بعضٍ، فيكون معلوماً للراسخين في العلم دون غيرهم.

ثم بيَّن الحكمة في تنوع القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه، فقال رحمه الله:

«لو كان القرآنُ الكريم كلُّه محكماً لفاتت الحكمةُ من الاختبار به تصديقاً وعملاً لظهور معناه، وعدم المجال لتحريفه، والتمسك بالمتشابه ابتغاءَ الفتنةِ، وابتغاءَ تأويله.

ولو كان كله متشابهاً لفاتَ كونه بياناً، وهدًى للناس، ولما أمكنَ العملُ به، وبناءُ العقيدة السليمة عليه».

المبحث الرابع - موهم التعارض من القرآن الكريم، والجواب عنه، وأمثلة من ذلك:

وموهم التعارض في القرآن الكريم: أن تتقابل آيتان، بحيث يمنع

مدلولُ إحداهما مدلولَ الأخرى؛ مثل أن تكونَ إحداهما مثبتةً لشيء والأُخرى نافيةً له.

وأشار ـ رحمه الله ـ في هذا المبحث إلى عدة أمور:

منها: أنَّه لا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري، لأنَّه يلزمُ كون إحداهما كذباً، وهو مستحيل في أخبار الله تعالى.

ومنها: أنه إذا رأى المسلمُ ما يوهم التعارضَ بين آيتين من كتاب الله عزَّ وجلَّ، فعليه الجمعُ بينهما، فإن لم يتبيّنَ له وجه الجمع، وجبَ عليه التوقف، وأن يكِلَ الأمرَ إلى عالمه. وأورد بعض الأمثلة من آيات القرآن الكريم التي توهم في ظاهرها التعارض.

المبحث الخامس ـ القَسَم:

وذكر فيه: تعريف القسم، وأدواته؛ وهي: الواو، والباء، والتاء، ومثَّل لكل أداة بآية من كتاب الله عزَّ وجلَّ.

ثم ذكر فائدتين من فوائد القسم:

إحداهما: **بيان عظمة المقسم به**.

والثانية: **بيان أهمية المقسم عليه، وإرادة توكيده**.

ثم ذكر أنه لا يحسن القسم إلا في الأحوال التالية:

الأولى: **أن يكون المقسم عليه ذا أهمية**.

الثانية: **أن يكون المخاطَبُ متردداً في شأنه**.

الثالثة: **أن يكون المخاطَبُ منكراً له**.

المبحث السادس ـ القصص:

وذكر فيه: تعريفها لغة واصطلاحاً، وأقسامها وأنواعها، والغرض منها، والفوائد المترتبة عليها، والحكمة من تكرارها واختلافها في الطول والقصر والأسلوب.

ثم تحدّثَ ـ رحمه الله ـ عن الإسرائيليات ، وهي الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر ، أو من النصارى ، والتي أُقحمت في التفسير ، وذكر موقفَ العلماء منها من حيثُ القبول والرَّدِّ.

المبحث السابع ـ الضمير:

وذكر فيه: تعريفه لغةً واصطلاحاً ، مرجعه. ثم تحدّثَ باختصارٍ عن الإظهار في موضع الإضمار ، وعن الالتفات ، وعن ضمير الفصل ، وفائدة كلٍّ منها.

* * *

٢ ـ تسهيل الفرائض

سبقْ أنْ ذكرنا أنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ كان متعدِّدَ المعارف والعلوم. ونقول هنا: إنَّ من العلوم التي أتقنها، وألَّف فيها علمَ الفرائض أو المواريث. وله في ذلك رسالة مختصرة؛ سمَّاها «تلخيص فقه الفرائض»، ألَّفها لتكونَ منهجاً مقرَّراً على طلاب السنة الأولى الثانوية.

كما ألف هذا الكتاب الموسع، وعنوانه «تسهيل الفرائض»، وهو، كما يظهر من عنوانه، يهدِفُ إلى تيسير الوصول إلى هذا العلم، وتقريبه للناس وطلبة العلم منهم على وجه الخصوص؛ إذ لا يجدُ كثيرٌ من الطلبة رغبةً في دراسة هذا العلم وإتقانه كباقي العلوم الشرعية.

والشيخ في هذا الكتاب كما هو في كتبه الأخرى، أو في دروسه العلمية على طلبته، يسعى دوماً إلى تبسيط العلم الذي يتحدَّثُ فيه ويلقيه على طلبته أو يكتبه لهم، فلا يلجأ إلى التعقيد، أو التقعُّر في الكلام، أو الإغراب فيه.

وفي هذا الكتاب بيَّن فضل علم الفرائض، وأنَّ «**الله فرضَ المواريث بحكمته وعلمه، وقسّمها بين أهلها أحسنَ قسم وأعدَله، بحسب ما تقضيه حكمته البالغة، ورحمته الشاملة، وعلمه الواسع، وبيَّن ذلك أتمَّ بيان وأكملَه، فجاءت آياتُ المواريث وأحاديثُها شاملةً لكل ما يمكِنُ وقوعه من المواريث، لكنّ منها ما هو صريحٌ ظاهر يشترِكُ في فهمه كل أحد، ومنها ما يحتاج إلى تأمل وتدبر**».

كما انتقد في مقدمة هذا الكتاب أهلَ الجاهلية؛ لأنهم لم يكونوا يورّثون النساء، ولا الصغار من الذكور؛ لأنهم يرون أنَّه لا يعطَىٰ من الميراث إلا مَنْ قاتل وحازَ الغنيمة.

ثم شرع في الحديث عن هذا العلم؛ معرِّفاً به؛

فبيَّن أنَّ حدَّه هو العلم بقسمة المواريث فقهاً وحساباً.

وموضوعه: التركات، وهي ما يخلِّفه الميت من أموال وحقوق واختصاصات.

وثمرته: إيصال ما يستحقه كلُّ وارثٍ من التركة.

ومن ثَمَّ نعرِفُ أهميته وحكمه.

وحكمه: فرضٌ كفايةٍ، إذا قام به من يكفي صار في حقِّ الباقين سنة.

وذكر بعد ذلك الحقوقَ المتعلّقة بالتركة، وبيّن أركانَ الإرث، وشروطه، وأسبابه، وموانعه وأقسامه، وأصحاب الفروض.

وتحدّث بعد ذلك عن مسائلَ متعلقةٍ بهذا العلم؛ وهي العَصَبةُ، والحَجْبُ، وميراثُ ذوي الأرحام، والمناسخاتُ، وميراثُ الحمل، وميراث المفقود، وميراث الغرقى والهدمى، وغير ذلك من المسائل.

وهو في كثير من المسائل يبدأ أولاً بتعريف المصطلح الذي يتعرّضُ له لغةً واصطلاحاً، ثم يبدأ بشرحه وبيانه، ويختمُ بإيراد مسائل وأمثلة تطبيقية على الفرع مدار البحث.

* * *

٣ ـ تفسير القرآن الكريم

عُرِفَ عن الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ اهتمامُه بتفسير القرآن الكريم، وتركيزُه على آيات الأحكام فيه. وقد طُبع مِمَّا فسَّره سورٌ متفرقة؛ هي: الفاتحة، والبقرة، والكهف، وسور من المفصَّل.

وللشيخ منهجُه الخاص في تفسير القرآن الكريم؛ الذي أرى أنَّه منهج شمولي في التفسير، رغم عدم توسُّعه وإسهابه؛ فقد اهتمَّ بجوانب متعدِّدة من جوانب التفسير:

فهو يُولي **اللغةَ والنحوَ** اهتمامَه، ويبيِّن ما في الآية من أوجه اللغة والنحو، وما ينبني على الإعراب من فهم للتفسير.

كما يذكر الجوانب **العقدية** المتضمِّنة لها الآية، ويتوسّع في بعض الأحيان في هذا الجانب لِمَا له من أهمية كبيرة.

وفي جانب **الفقه**؛ فإنَّه يذكر الأحكامَ الفقهية المستنبطة من الآية، ويذكر أقوال العلماء فيها.

والشيخ ـ رحمه الله ـ لا يتفرَّد برأيه في تفسير الآية، بل يورد أقوالَ العلماء في أوجه تفسيرها، ثم يذكر ما يراه الراجحَ عنده في ذلك.

وأذكر مثالاً على ذلك عند تفسيره لفاتحة سورة البقرة، واختلاف العلماء في تفسير الحروف المقطَّعة في مطلعها وفي مطلع غيرها من السور؛ إذ يورد أقوال المفسرين، فيقول:

القول الأول: أنَّ لها معنًى؛ اختلف أصحابُ هذا القول في تعيينه: هل هو اسم لله عزَّ وجلَّ؛ أو اسم للسورة؛ أو أنه إشارةٌ إلى مدة هذه الأمَّة؛ أو نحو ذلك؟.

القول الثاني: هي حروف هجائية ليس لها معنًى إطلاقاً..

القول الثالث: لها معنًى الله أعلم به؛ فنجزِمُ بأنّ لها معنًى؛ ولكن الله أعلم به؛ لأنهم يقولون: إنَّ القرآن لا يمكن أن ينزل إلا بمعنى..

القول الرابع: التوقّف، وألاَّ نزيدَ على تلاوتها؛ ونقول: الله أعلم، سواءٌ كان لها معنًى، أم لا؛ وإذا كان لها معنًى فلا ندري ما هو.

ثم يقول: «**وأصحُّ الأقوال فيها القول الثاني؛ وهو أنها حروفٌ هجائية ليس لها معنًى على الإطلاق**».

ثم يتبع تفسير الآية بذكر الفوائد المستفادة منها، وأحياناً يذكر فوائد آيتين مجتمعتين، وأُمَثِّلُ لِمَا يذكره الشيخ من فوائد الآيات بما أورده من الفوائد المستفادة من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] حيث قال:

«**الفوائد**:

١ ـ من فوائد الآية: **فضل الإيمان**؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لأن هذا النداء تشريف وتكريم.

٢ ـ ومنها: **أن الإيمان مقتض لامتثال الأمر**؛ لأنَّ الله صدَّر الأمر بهذا النداء؛ والحكمُ لا يقرنُ بوصفٍ إلا إذا كان لهذا الوصفِ أثرٌ فيه؛ وهذه الفائدةُ مهمة؛ ولا شكَّ أنَّ الإيمان يقتضي امتثال أمر الله عزَّ وجلَّ.

٣ ـ ومنها: **وجوب تطبيق الشرع جملةً وتفصيلاً**؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾.

٤ ـ ومنها: **أنَّ الإنسان يؤمر بالشيء الذي هو متلبِّس به باعتبار استمراره عليه، وعدم الإخلال بشيء منه**؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦] يعني: استمروا على ذلك.

٥ ـ ومنها: **تحريم اتباع خطوات الشيطان**؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ والمعنى: ألا نتبعَ الشيطانَ في سيره؛ لأنَّ الله بيَّنَ في آية أخرى أنَّ الشيطان يأمرُ بالفحشاء والمنكر؛ وما كان كذلك فإنَّه لا يمكن لعاقلٍ أن يتبعه؛ فلا يرضى أحدٌ أن يتبع الفحشاء والمنكر.

وأيضاً **الشيطان لنا عدو**، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [فاطر: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ولا أحدَ من العقلاء يتبع **عدوه**، فإذا كان الشيطان يأمرُ بالفحشاء والمنكر، وكان عدواً لنا، فليس من العقل ـ فضلاً عن مقتضى الإيمان ـ أن يتابعه الإنسانُ في خطواته.

وخطوات الشيطان بيَّنها الله عزَّ وجلَّ، **فالشيطان يأمر بالفحشاء** ـ وهي عظائم الذنوب ـ **والمنكر** ـ وهو ما دونها من المعاصي ـ **فكل معصيةٍ هي من خطوات الشيطان**؛ سواء كانت تلك المعصية من فعل محظور، أو من ترك مأمور، فإنها من خطوات الشيطان.

لكن هناك أشياء بيَّنَ الرسولُ ﷺ أنها من فعل الشيطان، ونصَّ عليها بعينها، مثل: **الأكل بالشمال**، والشرب بالشمال، والأخذ بالشمال، والإعطاء بالشمال، وكذلك **الالتفاتُ في الصلاة** اختلاسٌ يختلِسُه الشيطانُ من صلاة العبد. فهذه المنصوص عليها بعينها واضحة؛ وغير المنصوص عليها يقال فيها: **كل معصيةٍ فهي من خطوات الشيطان**.

٦ ـ **ومن فوائد الآية: تحريم التشبه بالكفار**؛ لأنَّ أعمال الكفار من خطواتِ الشيطانِ؛ لأنَّ الشيطان يأمرُ بالفحشاء والمنكر؛ ولا أنكرَ مِنَ الكفر والعياذ بالله!

٧ ـ ومنها: **شدة عداوة الشيطان لبني آدم**؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

٨ ـ ومنها: **أنَّه لا يمكنُ أن يأمرنا الشيطان بخير أبداً**؛ إذ إنَّ عدَّوك تسرُّهُ مساءتُكَ، ويغمُّه سرورُك؛ ولهذا قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦].

٩ ـ ومنها: **قرن الحكم بعلته**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ ثم علل: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾.

ويتفرَّع على هذه الفائدة: **أنَّه ينبغي لمن أتى بالأحكام أن يقرنها بالعلل التي تطمئن إليها النفسُ؛ فإن كانت ذاتَ دليل من الشرع قرنها بدليلها من الشرع؛ وإن كانت ذاتَ دليل من العقل والقياس قرنها بدليلها من العقل** والقياس؛ وفائدةُ ذِكرِ العلة أنه **يبيِّنُ سموَ الشريعة وكمالها**؛ وأنه **تزيد به الطمأنينة إلى الحكم**؛ وأنه **يمكن إلحاق ما وافق الحكم في تلك العلة**».

أقول: إلا أنَّ هذا المنهج في ذكر الفوائد ليس مطَّرداً عند الشيخ، إذ لم يلتزم به في تفسيره للمفصَّل من السور، والتي اشتملت تفسيرَ سورة الحجرات إلى نهاية سورة الحديد في جزء الذاريات.

* * *

٤ ـ تقريب التدمرية

العنوان الأصلي لهذا الكتاب هو «تحقيقُ الإثبات للأسماء والصفات، وبيان حقيقة الجمع بين القدر والشرع»، ويعرف باسم «التدمرية».

أما موضوعه: فهو الكلام في **التوحيد والصفات**، وفي **الشرع والقدر**. وهو في أصله موجَّه ـ فيما يُظنُّ ـ إلى أهل تدمر، وقد ذكر ذلك المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله؛ حيث قال: «فقد سألني من تعيّنت إجابتُهم أن أكتبَ لهم مضمونَ ما سمعوه منّي في بعضِ المجالس من الكلام في **التوحيد والصفات**، **وفي الشرع والقدر**».

وقد سارع شيخُ الإسلام إلى إجابة طلبهم لسببين ذكرهما؛ وهما:

أحدهما: **مسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين**؛ لأنَّه لا بدَّ أن يخطرَ على القلب في هذين الأصلين ما يحتاجُ معه إلى بيان الهدى من الضلال، والحق من الباطل.

الثاني: **كثرة اضطراب أقوال الناس فيهما**، والخوض فيهما بالحق تارة، وبالباطل تارات؛ فيلتبِسُ الحقُّ بالباطل على كثير من الناس، ومن ثَمَّ احتِيْجَ إلى البيان.

ولهذين السببين أيضاً ولغيرهما، قام الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ باختصار هذا الكتاب، بقصد تقريبه إلى الأذهان، وجعلِه سهلاً ميسورَ الفائدة. وفي ذلك يقول في المقدمة:

«وكانت هذه الرسالةُ من أحسن وأجمع ما كُتِبَ في موضوعها على اختصارها؛ ومن أجل ذلك، فإنِّي أستعين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في لَمِّ شَعثِهَا، وجمع شملها، وتقريبِ معانيها لقارئها، مع زيادةِ ما تدعو الحاجةُ إليه، وحذف ما يمكنُ الاستغناء عنه على وجه لا يخلُّ بالمقصود».

وقد وفَّى ، ـ رحمه الله ـ بما وعد به؛ فكان اختصارُه للتدمرية تقريباً لها كما عنونَ به هذا المختصر ، ولم يكن مجرّدَ اختصار ، مع محافظته على مضمون الكتاب وروحه ، فلم يحذفْ من فصوله ومباحثه شيئاً إلا ما كان في الخاتمة التي اشتملت على مجموعة قواعد ، حيث حذف من المختصر القاعدة السابعة؛ لأنها لم توجد في بعض النسخ من الكتاب ، فآثر عدم إدراجها في هذا المختصر.

* * *

٥ ـ حقوق دعت إليها الفطرة وقرَّرتها الشريعة

من المسَلَّم به أنَّ الشريعة الإسلامية ما جاءت إلا بما يوافقُ الفطرةَ البشريةَ السليمةَ، ومُحالٌ أن يتصادَمَ نصٌّ صحيحٌ صريحٌ مما جاء في الكتاب والسنة مع ما دعتْ إليه الفِطَرُ السَّوية، مهما كانت ديانات أصحابها أو معتقداتهم؛ فلو قيل لنصراني: إنَّ فلاناً من الناس يَعُقُّ أُمَّه ويضربها لازدراه، واستهجن فِعلته هذه. ولو ذكر أيضاً أمام مجوسيٍّ أن شخصاً كذب أو سرق مال أخيه وظلمه، لَمَا استساغ ما فعل. كل هذا لأنَّ هذه الأفعال المشينة لا تقبلُها الفطرة السوية، ولا العقل السليم، ولا تتفق ومكارم الأخلاق التي ترضاها النفوسُ الأبية، والتي جاء الإسلام لِيرسِّخَها وليتمِّمَها، مصداقاً لحديث الرسول ﷺ **«إنَّما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاَق»**[1].

وإنَّ مِمَّا اتفقت عليه الشريعة الإسلامية والفطرة البشرية: إعطاءَ الحقوق لأهلها، وعدمَ الظلم والتعدِّي عليهم.

وفي هذه الرسالة المختصرة أورد الشيخ ـ رحمه الله ـ بعضَ هذه الحقوق التي تتفق اتفاقاً تاماً مع الفطرة البشرية، كما تتفق مع الشريعة الإسلامية، وهذه الخصال هي:

١ ـ حقوق الله تعالى:

وهذا الحقُّ أَحَقُّ الحقوق وأوجبُها وأعظمُها. ويتمثَّل: **بالإيمان به سبحانه، وأداء فرائضه** التي افترضها على العباد من صلاة، صيام، وزكاة، وحجٍّ.

٢ ـ حقوق النبي ﷺ:

وهذا الحق هو أعظمُ حقوق المخلوقين. **ويتمثَّل هذا الحق باتباع سنَّته ﷺ، ومحبَّته، وتوقيره، واحترامه، ونُصرته.**

---

(١) صحيح الجامع وزياداته رقم: (٢٣٤٩) (ن).

٣ ـ حقوق الوالدين:

ويكون ذلك ببِرِّهما، والإحسان إليهما، قولاً وفعلاً، بالمال والبدن، في غير معصية لله.

٤ ـ حقوق الأولاد:

وتكون بتربيتهم التربيةَ الصالحةَ، والإنفاقَ عليهم بالمعروف، وعدم تفضيل أحدهم على الآخر.

٥ ـ حقوق الأقارب:

للقريب الذي يتصلُ بك في القرابة، وكلٌّ من ينتمي إليك بصلة فله حق. وحقُّ القرابةُ بحسبُ قُربه، ويكونُ ذلك ببذل الجاه والنفع البدني والنفع المالي. وأوردَ النصوصَ الواردة من الكتاب والسنة في الحث على صلة الرحم.

٦ ـ حقوق الزوجين:

بأن يعاشر كل منهما الآخر بالمعروف، وأن يبذل الحق الواجب له بكل سماحة وسهولة. وذكر بعض الحقوق المترتبة لكل واحد منهما على الآخر.

٧ ـ حقوق الولاة والرعية:

وتكون بالسمع والطاعة في المعروف، وفي غير معصية لله، والنصح لهم، ومساعدتهم في ولايتهم.

وكذلك حقوق الرعية المترتبة على الولاة؛ من القيام على شؤونهم ومصالحهم.

٨ ـ حقوق الجيران:

وهي من آكدِ الحقوقِ التي دعت إليها الشريعة السمحة، ويكفي في

ذلك قول النبي ﷺ: «**ما زالَ جبريلُ يوصيني بالجار حتّى ظننتُ أنَّه سيورِّثه**»[1].

ومن حقوق الجار: **الإِحسان إليه، وكف الأذى عنه، وحفظه وأهل بيته شاهداً وغائباً.**

٩ ـ حقوق المسلمين عموماً:

وهذه الحقوق كثيرة جداً؛ منها: السلام على المسلم، والنصيحة له، وعيادته في مرضه، وكفُّ الأذى عنه، وتفقُّد أحواله، واتِّباع جنازته، وغير ذلك كثير.

١٠ ـ حقوق غير المسلمين:

بتوفير الحماية للمستأمَنين، والوفاء بالعهد للمعاهَدين، ورعاية شؤون أهل الذِّمَّة المقيمين في ديار المسلمين.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤) عن عائشة رضي الله عنها.

٦ ـ حكم ترك الصلاة

يقع الكتاب في مقدمة مختصرة وفصلين.

قال ـ رحمه الله ـ في المقدمة: **«إنَّ كثيراً من المسلمين اليوم تهاونوا بالصلاة، وأضاعوها، حتى تركها بعضُهم تركاً مطلقاً تهاوناً»**.

وذكر أنَّ أهل العلم قديماً وحديثاً قد اختلفوا في مسألةِ تارك الصلاة بين التكفير والتفسيق، وماهيَّة الحكم عليه، وهل يُقْتَلُ أم لا؛ وإذا قُتِلَ، فهل يقتلُ حدّاً أم تعزيراً؟

وبحث في **الفصل الأول** حكم تارك الصلاة، وقدَّم لذلك بإيراد قاعدةٍ مهمةٍ؛ وهي **وجوبُ التحاكم إلى الكتاب والسنة، والرجوع إليهما في الأمور المختلف فيها بين أهل العلم**، ومنها هذه المسألة.

وهو يُعْمِلُ هذه القاعدة، ويطبقها في هذا الكتاب، حيث يعرِضُ مسألةَ الحكم في تارك الصلاة، مُورداً الأدلّة من الكتاب والسنة، ومفهوم هذه الأدلة، ويُتْبِعُ ذلك بإيراد أقوال السلفِ من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدَهم، رضي الله عنهم جميعاً

ثم بعدَ إيرادِ الأدلة، ومناقشةِ المخالفين في أدلتهم، يخلُصُ إلى نتيجةٍ مفادها: **أنَّ تركَ الصلاةِ كفرٌ مخرِجٌ من الملة**، والعياذ بالله.

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ في **الفصل الثاني** ما يترتَّبُ على كفر تارك الصلاة من أحكام، مستدلاً على كلِّ حكم بدليل من آيات الكتاب الكريم، أو من أحاديث النبي ﷺ.

وقسَّم هذه الأحكام إلى قسمين:

أولاً: الأحكام الدنيوية، وينبني عليها:

١ ـ سقوطُ ولايته.

٢ ـ وسقوطُ إرثه من أقاربه.

٣ ـ وتحريمُ دخوله مكة المكرمة وحرَمها.

٤ ـ وتحريم ما ذكَّاه من بهيمة الأنعام.

٥ ـ وتحريم الصلاة عليه بعد موته.

٦ ـ وتحريم نكاحه المرأة المسلمة.

ثانياً: الأحكام الأخروية؛ ومنها:

١ ـ أنَّ الملائكة توبِّخه وتقرِّعه.

٢ ـ وأنَّه يُحشَرُ مع أهل الكفر والشرك.

٣ ـ وأنه يستحقُّ الخلودَ في النار أبدَ الآبدين.

* * *

٧ ـ الخلاف بين العلماء: أسبابه، وموقفنا منه

الخلاف في الاجتهاد في مسائل الفقه بين علماء الإسلام قديمٌ قِدَم الإسلام نفسه؛ إذ وقع ذلك بين الصحابة رضوان الله عليهم. ولكنَّ هذا الخلاف لم يؤدِّ إلى اختلافِ قلوبهم. وفي ذلك يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: «وقد وقع الخلافُ في الفروع بين الصحابة رضي الله عنهم، وهم خيْرُ الأمةِ، فما خاصمَ أحدٌ منهم أحداً، ولا عادى أحدٌ أحداً، ولا نسب أحدٌ أحداً إلى خطأ ولا قصور»[١].

إلا أنَّ الخلافَ قد كثر في زماننا هذا؛ لكثرة المتصدِّين للفتوى، ممَّن يحسنها ومن لا يحسنها، حتى أصبح الخلافُ بين قول فلان وفلان مصدَر تشويش، بل تشكيك عند كثير من الناس، لا سيّما من العامة الذين لا يعرفون مصادر الخلاف.

ومن هذا المنطق، فقد تصدى الشيخ ـ رحمه الله ـ لهذه المسألة؛ ألا وهي مسألة **الخلاف بين العلماء، مبيّناً أسبابها، وموقف العلماء الربانيين الثقات منها**. مؤكداً ما قاله السيوطي ـ رحمه الله ـ من «**أنَّ الخلافَ بينها لم يكن في أصولِ دينها ومصادره الأصيلة، وإنَّما كان الخلافُ في أشياءَ لا تمسُّ وحدةَ المسلمين الحقيقية، وهو أمر لا بدَّ أن يكون**».

كما يضع ـ رحمه الله ـ قاعدةً في غاية الأهمية، تبعدُ الشكَّ وسوءَ الظن عن علماء الأمة في اجتهادهم في مسائل فروع الفقه، واختلافهم فيها، إذ يقول:

«ونحن جميعاً نعلم علم اليقين أنَّه لا يوجدُ أحدٌ من ذوي العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم يخالف ما دلَّ عليه كتابُ الله وسُنَّة

---

(١) جزيل المواهب باختلاف المذاهب، للسيوطي، ص ٢٢، بتحقيقي.

رسوله ﷺ عن عمدٍ وقصدٍ؛ لأنَّ من اتَّصفوا بالعلم والديانة فلا بدَّ أن يكونَ رائدُهم الحق»[1].

أما دواعي الخلاف بين العلماء؛ فيُجْمِلُها في سبعةِ أسبابٍ؛ هي:

الأول: **أن يكون الدليل لم يبلغ هذا المخالف** الذي أخطأ في حكمه.

الثاني: أن يكون الحديث قد بلغ الرجل، ولكنه **لم يثق بناقله، ورأى أنه مخالف لما هو أقوى منه، فأخذ بما يراه أقوى منه.**

الثالث: **أن يكون الحديث قد بلغه، ولكنه نسيه.**

الرابع: **أن يكون بلغه وفهم منه خلاف المراد.**

الخامس: **أن يكون قد بلغه الحديث ولكنه منسوخ، ولم يعلم بالناسخ.**

السادس: **أن يعتقد أنَّ الدليلَ معارَضٌ بما هو أقوى منه من نصٍّ أو إجماع.**

السابع: **أن يأخذَ العالِمُ بحديثٍ ضعيفٍ، أو يستدلَّ استدلالاً ضعيفاً.**

أما الموقف من الخلاف بين العلماء، فيكون بأمرين:

الأول: **معرفة سبب الخلاف في أي مسألة كانت، والعمل على معرفة وجه الصواب فيها.**

الثاني: **اتِّباع ما ترجَّحَ من الصوابِ مِنْ خلالِ معرفةِ الدليل الصحيح.**

* * *

(١) انظر زفع الملام من الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

٨ ـ الذكر الثمين

حرص الشيخ ـ رحمه الله ـ أنْ يكونَ لسانُه دائماً رطباً بذكر الله تعالى ، فهو إنْ لم يكن في مجلسِ علمٍ أو تدريسٍ أو تأليفٍ ، فإنَّه يشتغلُ بالذكر والتسبيح والتهليل.

وكان يحرِصُ أشدَّ الحرص على المواظبة على قراءة ورده اليومي من أذكارِ الصباح والمساء. حتّى إنَّه دوَّن بعضاً منها في وريقاتٍ للتذكرة. وما دوَّنه ـ على وجازته ـ يحوي الكثيرَ من الأذكار المأثورة عن النبي ﷺ ، مما كان يدعو به ويعلِّمه أصحابه رضوان الله عليهم.

وقد عمل الأمير نايف بن ممدوح بن عبد العزيز آل سعود على إخراج هذه الأدعية وطباعتها في حُلَّةٍ بهية ، بعد تخريجها والتعليق عليها ، وبيان مخرِّجيها من أصحاب كتب السنة ، وبيان درجتها من حيث الصحة والضعف. مراعياً منهج الشيخ ـ رحمه الله ـ في العمل بالأحاديث الضعيفة الواردة في فضائل الأعمال ، والتي نصَّ عليها في رسالته في مصطلح الحديث؛ وهي:

١ ـ أن لا يكون الضعف شديداً.

٢ ـ أن يكون أصلُ العمل الذي ذُكر فيه الترغيب والترهيب ثابتاً.

٣ ـ أن لا يعتقدَ أنَّ النبيَّ ﷺ قاله.

وقد اعتمد المحقِّقُ في إخراج هذه الرسالة على نسخة بخط الشيخ رحمه الله ، كان قد أهداها الشيخ عبد الرحمن بن محمد الريس مؤذِّنُ الجامع الكبير بعنيزة إلى والد المحقق الأمير ممدوح بن عبد العزيز آل سعود ، فبادر ، جزاه الله خيراً ، بعد أيام قلائل من وفاة الشيخ ، إلى خدمتها وإخراجها لعموم المسلمين ، لتعمَّ بها الفائدة ، ويكثرَ النفع ، فكانت أول أعمال الشيخ التي ترى النورَ بعد وفاته ، فكانت من الأعمال

الدائمة التي تكتب ، بإذن الله ، في صحيفة مؤلفها الشيخ ابن عثيمين ، فهي بحق من العلم الذي ينتفع به .

وقد قام المحقق ، جزاه الله خيراً ، بذكر فوائد وثمرات كل ذكر ما أمكنه ذلك ، مع مراعاة الاختصار ، وفي ذلك حافز ومرغّب في الإتيان به والاستدامة عليه .

وذكر في مقدمة الرسالة ترجمةً موجزةً لكاتبها الشيخ ابن عثيمين ، عليه من الله الرحمة والرضوان .

ثم أتبعَ ذلك بذكر الكتب والرسائل المؤلفة في الأدعية والأذكار ، مما هو أوسع من رسالة الشيخ ابن عثيمين هذه ، لمن أراد التوسُّعَ والاستزادة مما أُثر عن النبي ﷺ في ذلك .

* * *

٩ـ رسالة الحجاب

كثر النقاش في هذه الأيام حول مسألة حجاب المرأة المسلمة ، وغطاء وجهها ، واختلفت أقوال العلماء فيه؛ فمنهم من يرى وجوبه وفَرْضِيَّتَه ، ومنهم من يرى استحبابه ، ومنهم من يقول: إنَّه يتبعُ العُرفَ والعادة تبعاً ، ويؤثِّر في ذلك العصر والمِصرُ.

وقد أراد الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أن يبيِّنَ القولَ الفصلَ ، وما يعتقده في هذه المسألة ، فكتبَ رسالةً قصيرةً مختصرةً ، وهي على وجازتها ، جَلَتِ القولَ في ذلك ، موردةً قولَ الطرفين في مسألة الحجاب ومناقشتها.

وفي البداية قدَّم الشيخ بمقدمة ذكَّر فيها بما دعتْ إليه الشريعةُ الإسلاميةُ السمحةُ من مكارم الأخلاق ، ومنها خُلُقُ الحياء ، الذي هو شعبةٌ من شُعَبِ الإيمان ، وإنَّ من الحياء المأمورِ به شرعاً وعُرفاً احتشامَ المرأة ، وتخلُّقَها بالأخلاقِ التي تُبْعِدُها عن مواقع الفتن ، ومواضع الرِّيَبِ. وإنَّ مما لا شكَّ فيه أنَّ احتجابَها بتغطية وجهها ومواضعِ الفتنة منها لهو أكبرُ احتشامٍ تفعلُه ، وتتحلَّى به ، لما فيه من صونِها وإبعادِها عن الفتنة.

وذكَر أنَّ الناس في بلاده ، وهي بلادِ الوحي والرسالةِ والحياءِ والحشمةِ ، كانوا على طريق الاستقامة في ذلك ، فكان النساءُ يخرجنَ متحجبّاتٍ متجلبباتٍ بالعباءةِ أو نحوها ، بعيداتٍ عن مخالطةِ الرجال الأجانب.

ويرى أنَّ النظرةَ إلى الحجاب قد تغيّرت لدى الكثيرين من أهل هذه البلاد؛ بسبب المؤثّرات الخارجية والداخلية ، من تأثرٍ بوسائل الإعلام ، أو تقليدٍ للغير ، أو بسبب اجتهاداتِ بعض العلماء الذين يرى أنهم مخلِصونَ في اجتهادهم ، لكنّهم جانَبوا الصواب في ذلك ، أو بسبب آراء

بعض المتحرِّرين المشكِّكين أصحاب النوايا السيئة والمغرضة.

ولإزالةِ هذا الشك، وجلاءِ حقيقةِ الأمرِ في مسألة الحجاب، فقد رأى - رحمه الله - أن يكتبَ هذه الرسالة لبيانِ حُكمه، والقولِ الراجحِ فيه: فقال:

«اعلم أيها المسلم، أنَّ احتجابَ المرأةِ عن الرجال الأجانب؛ وتغطيةَ وجهها أمرٌ واجبٌ، دلَّ على وجوبه كتابُ رَبِّكَ تعالى، وسنةُ نبيِّك محمد ﷺ، والاعتبارُ الصحيح، والقياسُ المطَّرد».

ثم ساق الأدلة على ذلك، حيث ساق من كتاب الله عزَّ وجلَّ أربع آياتٍ، دلَّ مفهومُها على وجوبِ الحجاب، وقامَ بشرح هذه الآيات وبيانها، واستخلاص الأدلة منها.

ومن السنة النبوية أورد ستةً من الأحاديث الصحيحة التي يُفهم منها وجوبُ تغطية المرأة وجهها، وعدمِ كشفه.

أما القياس، أو الاعتبار الصحيح، كما قال، فيرى أنَّ السفور أو كشفَ الوجه يترتب عليه كثيرٌ من المفاسد؛ ومن ذلك: فتنة المرأة نفسها، وزوال الحياء عنها، وافتتان الرجال بها، وكذلك اختلاط الرجال بها.

ثم ساق - رحمه الله - أدلةَ القائلين بإباحة كشف المرأة وجهها أمام الرجال؛ حيث ذكروا مجموعة من الأدلة من الكتاب والسنة. ثم ردَّ عليها ردّاً علمياً، مبيّناً ضعفَ استدلالهم بها، من حيث فهمها على غير المراد بها، أو لضعف إسنادِ بعضِ الأحاديث المستدَلَّ بها.

* * *

١٠ ـ زاد الداعية إلى الله

أصل هذه الرسالة محاضرةٌ ألقاها الشيخ ـ رحمه الله ـ على طلبة العلم والدعاة إلى الله ، بيَّن في مقدمتها أنَّ أهمَّ زادٍ يتزوده الداعيةُ إلى الله عزَّ وجلَّ هو التقوى؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ثم شرعَ في بيانِ أنواع الزاد الذي يعينُ الداعيةَ إلى الله عزَّ وجلَّ في مسيرته في الدعوة. فذكر من ذلك:

الزاد الأول: أن يكون الداعية على علم فيما يدعو إليه ، وأن يكون هذا العلم مستمدّاً من كتاب الله تعالى ، ومن سنة رسوله ﷺ الصحيحة المقبولة. ويقول:

«إنَّ الدعوة على الجهل ضرُرها أكبرُ من نفعها ، وبيَّن أنَّ حال النبي ﷺ في دعوته كان كما ذكر الله عزَّ وجلَّ عنه في كتابه الكريم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]» ويقول:

«إنَّ الداعيةَ ينبغي أن يكونَ على بصيرةٍ فيما يدعو إليه ، وعلى بصيرةٍ في حال المدعوِّين ، وعلى بصيرة في كيفية الدعوة».

الزاد الثاني: أن يكون الداعية صابراً على دعوته ، صابراً على ما يدعو إليه ، صابراً على ما يعترض دعوته ، صابراً على ما يعترضه هو من الأذى؛ لأنَّ الداعيةَ لابدَّ أن يؤذَىٰ ، إما بالقول ، وإما بالفعل ، وطريق الدعوة طريق محفوفٌ بالأذى والمصاعب ، وهو طريقُ الأنبياء.

الزاد الثالث: الحكمة ، فيدعو إلى الله بالحكمة ، ويقول عن الحكمة:

«إنَّ الحكمة: هي إتقان الأمور وإحكامها، بأن تُنزَّل الأمورُ منازلَها، وتوضع في مواضعها، كما يؤكد أنَّ الحكمة تأبى أن يتغيَّر العالَم بين عشيةٍ وضحاها، فلا بدَّ من طول النفس».

ويستشهد ـ رحمه الله ـ بأمثلةٍ عديدةٍ من حكمة الرسول ﷺ في الدعوة، مما ينبغي على الدعاة أن يتأسوا به، ويتخذوه نبراساً في نهجهم الدعوي.

الزاد الرابع: أن يتخلَّق الداعية بالأخلاق الفاضلة؛ بحيث يظهر عليه أثرُ العلم في معتقده، وفي عبادته، وفي هيئته، وفي جميع مسلكه، حتى يمثّلَ دورَ الداعية إلى الله. أما أن يكون على العكس من ذلك فإنَّ دعوته سوف تفشلُ، وإن نجحت فإن نجاحَها قليل.

الزاد الخامس: أن يكسر الداعية الحواجز التي بينه وبين الناس. وهو ـ رحمه الله ـ يعيبُ على بعض الدعاة الذين يأنفون من نُصْح من يرونهم يفعلون المنكر بحجة أنهم عصاةٌ وَفَسَقَةٌ، ويتساءل ـ رحمه الله ـ، موجهاً خطابه إلى الدعاة إلى الله:

«إذا كنتَ أنتَ أيها الداعية المسلمُ لا يمكِنُ أن تمشي نحو هؤلاء، ولا أن تذهبَ إليهم لدعوتهم إلى الله، فمن الذي يتولاهم؟».

الزاد السادس: أن يكون قلب الداعية منشرحاً لمن خالفه، لاسيما إذا علم أن الذي خالفه حسنُ النيةِ، وأنَّه لم يخالفه إلا بمقتضى قيام الدليل عنده، وأنَّ هناك مسائلَ فرعيةٍ يختلفُ فيها الناس، **وهي في الحقيقة مما وسَّع الله فيه على عباده.**

* * *

١١ ـ الزواج في الشريعة الإسلامية

أصلُ هذا الكتاب محاضرةٌ ألقاها الشيخ ـ رحمه الله ـ في الموسم الثقافي في كليتي الشريعة واللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم.

وقدَّم الشيخ بمقدمة، ربّما يراها بعضهم بعيدةً عن موضوع الكتاب، فتحدّث ـ رحمه الله ـ عن الحرب التي تُشَنُّ في عصرنا الحديث على الإسلام وأهله، وخصوصاً الشباب منهم، والعمل على إبعادهم عن الطريق السوي من خلال إيقاعهم في حبائل تيارات وأفكار منحرفة عن هدي الإسلام.

كما نبّه في هذه المقدمة إلى أمرٍ مهم جداً؛ وهو العزلة بين الشباب والشيوخ، هذه العزلة التي أصبح الشبابُ فيها حيارى لا يهتدون سبيلاً. وقال:

«إنَّ كلَّ هذا في الحقيقة من تقصير كبار السن، وعدم التفات بعضهم إلى الشباب مطلقاً، حتى إنَّهم لا يصغون إليهم؛ وإن قالوا رُشداً».

وقال: **«إنَّ هذا من الخطأ؛ فالواجبُ علينا أن نكونَ مع هؤلاء الشباب، وأنْ ننظرَ ما هم عليه، وأن نلاحظَ ما حولهم مما يؤثّر عليهم، وما السبب الذي أوجبَ لهم هذا العزوف والانصراف عن الإقبال على دينهم، حتى إذا عرفنا الداء أمكننا أن نقومَ بإعطاء الدواء».**

ثم شرع ـ رحمه الله ـ في الحديث عن موضوع الكتاب، وهو الزواج، الذي يهمُّ بالدرجة الأولى الشباب في مجتمعنا المسلم. وجعل الحديث عن ذلك في عشرة فصول؛ وهي:

الفصل الأول: **في معنى النكاح لغة وشرعاً.**

الفصل الثاني: **في حكم النكاح.**

الفصل الثالث: **في شروط النكاح.**

الفصل الرابع: **في صفة المرأة التي ينبغي نكاحها.**

الفصل الخامس: **في المحرمات بالنكاح.**

الفصل السادس: **في العدد المباح في النكاح.**

الفصل السابع: **في حكمة النكاح.**

الفصل الثامن: **في الآثار المترتبة على النكاح.**

الفصل التاسع: **في حكم الطلاق وما يراعى فيه.**

الفصل العاشر: **فيما يترتب على الطلاق.**

* * *

١٢ ـ شرح الأربعين النووية

لقد جمع كثير من العلماء أحاديث نبوية شريفة ، تحت مسمَّى الأربعين ، بوَّبوها في أبوابٍ مختلفةِ الموضوعات؛ فبعضُها في الفقه ، وبعضها في الرقائق ، وبعضها في الفضائل ، وغير ذلك. ولا أبعدُ عن الحقيقة إن قلت: إنَّ أشهر هذه الأربعينات وأكثرها ذكراً وشيوعاً بين المسلمين هي الأربعون التي جمعها الإمام النووي ، والتي تعرف بالأربعين النووية.

وهي في أصلها من جمع الإمام أبي عمرو ابن الصلاح ، المتوفى سنة ٦٤٣هـ ، حيث أملى ستة وعشرين مجلساً ، تضمّنت ستة وعشرين حديثاً ، سمَّاها «الأحاديث الكلية» ، ثم زاد عليها الإمام النووي تمام اثنين وأربعين حديثاً. واشتهرت هذه الأربعون ، وكثر حفّاظها بين الطلبة ، كما كثرت شروحها ، حتى بلغت العشرات[1].

وكان ممن شرحها صاحب الترجمة الشيخ ـ رحمه الله ـ. وقبل الشرح قدَّم بمقدمة لطيفة ، ترجم فيها ترجمة مختصرة للإمام النووي ـ رحمه الله ـ بين أنَّه من أصحاب الإمام الشافعي المعتبرة أقواله ، ومن أشدِّ الشَّافعية حرصاً على التأليف ، فقد ألّف في فنونٍ شتى ، كما ذكر **أنَّه من أعلم الناس** ، كما نبَّه على مسألةٍ ألا وهي **إخلاص الإمام النووي وحسن نيته**. فقال الشيخ ـ رحمه الله ـ:

«والظاهر ـ والله أعلم ـ أنَّه مِنْ أخلصِ الناسِ في التأليف؛ لأنَّ

---

(١) ومن أشهر شروحها كتاب: **«جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم»** ، للإمام ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ. وقد وفقني الله للمشاركة في تحقيق هذا الكتاب ونشره ، فالحمد لله على نعمه وإفضاله (إبراهيم).

تأليفاته ـ رحمه الله ـ انتشرت في العالم الإسلامي ، فلا تكادُ تجدُ مسجداً إلا ويُقرأ فيه «كتاب رياض الصالحين» وكتبه مشهورة مبثوثة في العالم؛ مما يدل على صحة نيته ، فإنَّ قبولَ الناسِ للمؤلفات من الأدلة على إخلاص النية».

وأشار ـ رحمه الله ـ إلى خطأ الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في الاجتهاد في بعض المسائل في الأسماء والصفات. ولكنَّ الشيخ ابن عثيمين لا يغمِطُ الإمامَ النوويَّ حقَّه ، وإنما يرى أنَّ هذا منه ـ رحمه الله ـ كان من باب الاجتهاد ، وأنه مأجورٌ على اجتهاده ، ويقول في ذلك :

«ومثلُ هذه المسائل التي وقعت منه ـ رحمه الله ـ خطأٌ في تأويلِ بعض نصوص الصفات؛ إنَّه لمغمورٌ بما له من فضائل ومنافع جمّة ، ولا نظنُّ أنَّ ما وقع منه إلا صادرٌ عن اجتهادٍ وتأويلٍ سائغٍ ـ ولو في رأيه ـ وأرجو أن يكونَ من الخطأ المغفور ، وأن يكونَ ما قدَّمه من الخير والنَّفع من السعي المشكور».

ثم شرع ـ رحمه الله ـ في شرح هذه الأحاديث واحداً تلو الآخر ، منبهاً قبل ذلك أنه ينبغي على طالب العلم أن يحفظها؛ لأنها منتخبةٌ من أحاديث عديدة.

وقد سلك ـ رحمه الله ـ في شرح هذه الأحاديث المنهج نفسَه في «شرح رياض الصالحين»(١) ، وإن كان توسع في هذا الشرح بعض الشيء عن رياض الصالحين ، لأنَّ كل حديث من أحاديث هذا الكتاب مستقل ، وقائم بذاته ، فلا بدَّ من إشباع القول في مقاصد الحديث، بينما أحاديث «**رياض الصالحين**» تندرج ضمن أبواب ، كل باب يحتوي على مجموعة من الأحاديث، فكان الشيخ يسهب في شرح حديث ما من الباب ، ويختصر في شرحه لحديث آخر، ذاكراً في البداية مقاصد الباب وما يرمي إليه.

* * *

---

(١) سيأتي الحديث منه برقم (١٤) ص (١٠٩).

١٣ ـ شرح أصول الإيمان

نبذة مختصرة في العقيدة الإسلامية ألَّفها الشيخ ـ رحمه الله ـ لطلاب السنة الثالثة الثانوية في المعاهد العلمية سنة ١٤٠٢هـ.

وقد عرَّفَ فيه ـ رحمه الله ـ الإسلامَ وأركانَه تعريفاً إجمالياً ، ثم أفاضَ في بيان العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان الستة بأسلوب واضح منظم ، ويذكر ما يتضمَّنه كلُّ ركن من أركان الإيمان بالأدلَّة النقلية والعقلية ، منبهاً على مَنْ أخطأ في كلِّ بابٍ ، ويختم ببيان ثمرات الإيمانِ بكل ركن على حدة ، وأنهى الرسالة بتعداد أهداف العقيدة الإسلامية.

وهذه النبذةُ جديرة أن يُبتدأ بها في دراسة العقيدة ، وأن تُقدَّمَ لكل راغب في معرفة الإسلام لوضوحها وإحاطتها واختصارها.

وهو مطبوع متداول بعنوان «**شرح أصول الإيمان**».

* * *

١٤ ـ شرح رياض الصالحين

كتاب «**رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**» ، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ، من الكتب التي وُضِع لها القبول في الأرض بين المسلمين؛ من العلماء ومن العامة على حد سواء . وهذا الأمر ينطبق على كثير من كتب الإمام النووي ـ رحمه الله ـ؛ ومنها «كتاب الأربعين النووية» ، و«كتاب الأذكار» ، وقد قال العلماء : **إن سبب إقبال المسلمين على كتب الإمام النووي هو إخلاصه ، وصدق نيته مع الله .**

وكتاب «رياض الصالحين» من أشهر الكتب التي جمعت عدداً من الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ ، والتي قصدَ الإمامُ النوويُّ منها ، من خلال هذا الكتاب ، أن تكونَ طريقاً لقارئها إلى الآخرة ، ومحصلاً لآدابه الباطنة والظاهرة ، جامعاً للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين : من أحاديث الزهد ، ورياضات النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وطهارات القلوب وعلاجها ، وصيانة الجوارح ، وإزالة اعوجاجها ، وغير ذلك من مقاصد العارفين .

وقد اعتنى بهذا الكتاب كثيرٌ من العلماء؛ ما بين شرح واختصار وتخريج ، أو قراءة في مسجد ، بل ربّما لا أبعدُ الظنَّ إنْ قلتُ : إنَّ هذا الكتاب قد قُرِئَ في أغلب مساجد المسلمين ، وفي بعضها قرئَ مرّاتٍ عديدة . ومن ذلك ما كان في المسجد الكبير بمدينة عُنيزة بمدينة القصيم ، حيثُ كانت تُقرأُ أبوابُ كتاب رياض الصالحين بعد صلاة العصر من كلِّ يوم ، وقام صاحب الترجمة الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ بالتعليق على الأحاديث الواردة فيه تعليقات نافعة .

ومنهجُ الشيخ في شرحه أنْ يذكرَ اسمَ الباب الذي ذكره الإمام النووي ، ثم يوضّحُ معناه الاصطلاحي ، مستدلاً بالآيات والأحاديث

النبوية ، ثم يعرِضُ الآياتِ التي أوردها المؤلف ، شارحاً لها ، ومبيناً معناها .

وبعد ذلك يسوق أحاديث الباب ، شارحاً لها شرحاً مفصلاً ، ولم يلتزم بشرح كل حديث على حدة ، بل يراوح بين أن يفرد حديثاً واحداً بالشرح ، أو يجمع بين حديثين أو أكثر إذا رأى أنها متقاربة في اللفظ والمعنى . أو يترك شرح حديث ما ؛ لأنه مشابه لحديث آخر في الباب سبق شرحه .

كما أنه لم يلتزمْ منهجاً واحداً في طول الشرح أو قصره ؛ فأحياناً يكتفي في شرحه للحديث ببضعة أسطر ، وأحياناً يطيل النَّفَسَ ، فيبلغ الشرح عدة صفحات .

* * *

١٥ ـ شرح العقيدة السفارينية

شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفَّاريني (١١١٤ ـ ١١١٨هـ) ، ينتسب إلى قرية سَفَّارين من أعمال مدينة نابلس بفلسطين ، ردَّها الله إلى حظيرة المسلمين ، وطهَّرها من دَنَسِ يهود. وهو من أشهر علماء الحنابلة المتأخِّرين؛ وكان عالماً بأصول الدين وأصول الفقه والحديث والأدب ، وله في ذلك مؤلفات معروفة مشهورة.

ومن مؤلفاته المشهورة: منظومة في العقيدة ، سمَّاها «**الدرة المضيّة في عقد الفرقة المرضية**» ، تقع في مئتين وعشرة أبيات. وهي منظومةٌ شاملةٌ في عقيدة أهل السنة والجماعة العقيدةِ السلفيّةِ. وقد شرحها السفارينيُّ نفسُه في كتاب ضخم يقع في مجلدين ، سماه «**لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في حلِّ عَقْد أهل الفرقة المرضية**» ، كما شرحها غيره من العلماء.

ومِمَّن قام بشرحها أيضاً: صاحبُ الترجمة ـ رحمه الله ـ، حيث شَرَحها شرحاً مفصَّلاً سهلاً ، ميسورَ الفهم؛ «فقد تميّزَ شرحُ الشيخ ـ رحمه الله ـ تعالى لهذه العقيدة السفارينية بوضوح العبارة ، والتأصيلِ العلميِّ المتينِ لمسائل العقيدة ، وبيان التعريفات العلمية ، والتقسيم والتنويع للمسائل العلمية ، مما لا يستغني عنه طالبُ العلم ، وذكر الاعتراضات على المسائل والقواعد والأصول والضوابط ، وبيان الجواب عنها وغيرها من الدرر العلمية النفيسة ، بأسلوبٍ علمي لا مثيلَ له فيما نعلم.

وأصلُ الشرح كان دروساً علمية ألقاها الشيخُ على تلامذته ، كما فعل في معظم الكتب التي شرحها. وقد قام على خدمته وإخراجه وتحقيقه شباب مسجد سالم العلي بالكويت ، فجزاهم الله خيرَ الجزاء على ما قاموا به. فقد كان في أشرطة مسجَّلة بلغت واحداً وثلاثين شريطاً ، قاموا بتفريغها ونسخها ، ثم العمل على تهذيبها وتنسيقها وإعادة تحريرها ،

وهذا عملٌ قلَّ مَنْ قام به ممّنْ أخرجَ كتب الشيخ رحمه الله ، وقد أشرتُ إلى ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب .

وإبرازاً للجهد المتميِّز لما قام به «شباب مسجد سالم العلي» من خدمة متميزة ، والذي استغرق منهم أكثر من سنتين كما ذكروا؛ فإنني أسرُد هنا ما ذكروه من منهجهم في إخراج الكتاب؛ حيث قالوا :

أولاً: قمنا بتفريغ أشرطة «شرح العقيدة السفارينية» ومراجعتها لاستدراك السقط والنقص .

ثانياً: قمنا بترتيب الشرح؛ حيث إنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ حصل منه تقديم وتأخير في شرح بعض الأبيات .

ثالثاً: قمنا بكتابة الأسئلة التي أوردها الطلبةُ على الشيخ ، وجواب الشيخ لها ، حتى ولو لم يكن لها علاقة بالشرح أو بعلم العقيدة .

وقد يَرِدُ في الشرح بعض الأسئلة ، ولكننا لا نُورِدُها في الكتاب لعدم وضوح الصوت ، ولكننا التزمنا بكتابة جواب الشيخ عنها .

رابعاً: قمنا بترتيب أبيات منظومة العقيدة السفارينية وترقيمها وتبويبها ، ووضعنا كلَّ بيتٍ وتحته شرحه ، حتى يسهل الرجوع إلى البيت .

خامساً: قمنا باستبدال بعض الألفاظ التي قالها الشيخ باللهجة المحلية بألفاظٍ مرادفةٍ لها باللغة العربية الفصحى .

سادساً: قمنا بتنسيق شرح الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ؛ وذلك بوضع التعاريف والقواعد العلمية والفوائد المهمة بخطٍّ غليظ .

يُكثِرُ الشيخُ ـ رحمه الله ـ من ذكر الاعتراضات على القواعد والمسائل بقوله : «فإذا قال قائل . . .» ، أو «فإن قال قائل . . .» [1]، أو«لو قال

---

(١) ويسمي العلماء هذا الأسلوب : الفنقلة (ن).

قائل: . . .» ويقوم بالجواب عن هذه الاعتراضات. وقد حرَصْنا على وضع هذه الاعتراضات بخطٍّ غليظ من باب تنبيه طالب العلم على هذه الاعتراضات والجواب عنها.

إذا ذكر الشيخ خلافاً في مسألةٍ من المسائل قمنا بترقيم أقوال العلماء من باب التيسير على طالب العلم بمعرفة الأقوال عن طريق الأرقام.

إذا ذكر الشيخُ خلافاً في مسألةٍ من المسائل ، وذكر الراجحَ أو الصحيحَ عنده في هذه المسألة قمنا بوضع هذا الترجيح والتصحيح بخطٍّ غليظ ، ليتنبَّه طالبُ العلم إلى القول الراجح والصحيح عند الشيخ ـ رحمه الله ـ.

إذا ذكر الشيخُ خلافاً في مسألة من المسائل ، وذكر أدلة المختلفين أو المخالفين قمنا بترقيم هذه الأدلة لكلِّ قولٍ ومذهبٍ ليسهلَ على طالب العلم حصرَ أدلَّةِ المختلفين أو المخالفين.

كما قمنا بتنسيق التقاسيم والأنواع بترقيمها.

سابعاً: قمنا ببيان كلام الشيخ في الحاشية إذا اختلف كلامه في الشرح.

ثامناً: عزو الآيات القرآنية ، بذكر السورة ورقم الآية.

تاسعاً: تخريج الأحاديث النبوية ، وقد اقتصرنا على «الصحيحين» إذا كان الحديث فيهما أو في أحدهما ، أما إذا لم يكن الحديث في «الصحيحين» ، فإن كان في الكتب التسعة اقتصرنا عليها ، وأما إذا لم يكن في الكتب التسعة ، فنخرِّج الحديثَ مع إحالته إلى مصادره الأصلية ، مع ذكر حكم الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ على الأحاديث التي ليست في «الصحيحين» إذا كان يرى صحَّتها.

أمَّا إذا كان يرى ضعفَ الحديث الذي أورده الشيخ ابن عثيمين ، فإننا نقتصِرُ على تخريج الحديث ، **دون ذكر حكم الشيخ الألباني على الحديث**؛ لأننا نعتقد أن الشيخ ابن عثيمين لم يورده إلا وهو يرى صحَّته عنده.

وقد يذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ حديثاً ، ونبيِّن تواترَ هذا الحديث ، ومَنْ نَصَّ على هذا التواتر مِنْ أهل العلم بالحديث إتماماً للفائدة .

وقد يذكر الشيخ حديثاً ونُحيلُ إلى شرحٍ لشيخ الإسلام عليه لإتمام الفائدة .

تاسعاً: تخريج الآثار السلفية ، وعزوها إلى قائليها وإلى مصادرها ، وقد نحيل إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الآثار في كتبه .

عاشراً: نسبةُ الأبيات الشعرية إلى قائليها قَدْرَ الإمكان ، والكلام عليها من حيث الاختلاف في قائليها وفي ألفاظها .

وقد يذكر الشيخُ بعض الأبيات التي يستدل بها بعض أهل البدع على باطلهم ، فنحيلُ لكتب القوم ، مع بيان ردود أهل السنة عليهم .

الحادي عشر: إحالةُ مسائل العقيدة التي أوردها الشيخ في شرحه على المنظومة إلى مظانِّها من كتب المتقدمين وكتب المتأخرين؛ مثل: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكتب ابن القيم ، وبعض كتب المعاصرين في العقيدة ، مع التركيز على الإحالة إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية .

وقد يذكر الشيخ المسألة والإجماع عليها ، وقد نبيّنُ المصدرَ الذي وردَ فيه هذا الإجماع .

وقد يذكر الشيخ مسألةً من مسائل العقيدة ، ولا يورد الإجماعَ عليها ، فنبيّنُ في الحاشية الإجماعَ ، مع بيان المصدر الذي ذَكَرَ هذا الإجماعَ .

وقد يذكر الشيخ قولاً في العقيدة ولا ينسبه إلى قائله ، وقد نبيّنُ قائلَه في الحاشية .

وقد يذكر الشيخُ قولاً للجمهور ، ولا ينسبه إليهم ، وقد نبيّن أنَّه قولُ الجمهور في الحاشية .

الثاني عشر: بيانُ الأقوالِ التي تراجع عنها الشيخ ـ رحمه الله ـ مع ذكر ما ذهب إليه أخيراً.

الثالث عشر: إحالة المسائل الفقهية، ونسبة الأقوال فيها إلى مصادرها الأصلية من كتب الفقه قدر الإمكان.

الرابع عشر: إحالةُ المسائل الأصولية، ونسبةُ الأقوال فيها إلى مصادرها الأصلية من كتب أصول الفقه قدر الإمكان.

الخامس عشر: إحالةُ المفردات اللغوية والتعاريف الاصطلاحية إلى مصاردها الأصلية من كتب اللغة.

السادس عشر: إحالةُ المسائل النحوية التي ذكرها الشيخ في شرحه إلى مصادرها من كتب النحو قدر الإمكان.

السابع عشر: قُمْنَا بترجمةِ الأعلام الوارد ذكرُهم في الشرح، مع بيان المصادر التي ترجمتْ لهم قدر الإمكان.

الثامن عشر: قمنا بالتعريف بالفرق والطوائف الواردة في الشرح مع بيان المصادر.

التاسع عشر: قمنا بوضع فهرس للموضوعات في نهاية الشرح.

العشرون: قمنا بوضع متن (العقيدة السفارينية) قبل الشرح ليسهل الرجوعُ إليها عند الحاجة.

هذا هو منهجُنا وعملُنا في هذا الشرح باختصار. وهو جهد المُقِل.

* * *

١٦ ـ شرح العقيدة الواسطية

لاهتمام الشيخ بكتاب «**العقيدة الواسطية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة**» التي ألفها شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فإنَّه قام بشرحها والتعليق عليها أكثر من مرة؛ فمنها تلك المذكرةُ التي وضعها عليها لتكونَ من مقررات السنة الثانية الثانوية في المعهد العلمي. ومنها هذا الشرح، الذي هو بمثابة التقرير على طلبة العلم الذين درسوها عليه في مسجد عُنيزة الكبير، ومن شدّة حرصهم على حفظ هذا التقرير قاموا بتسجيله، ثم قاموا بتفريغه كتابةً من أشرطة التسجيل.

وقد طُبعَ لأول مرة على تلك الصفة، دون مراجعة من الشيخ ـ رحمه الله ـ، وأُخرِجَ بثوبٍ قشيبٍ، وعليه تعليقات مفيدة في تحقيقه وتخريج أحاديثه بقلم أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، وذلك في سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م وخرجَ في مجلدين.

وقد أعاد الشيخ ـ رحمه الله ـ النظرَ في الكتاب بعدَ صدوره، وراجعه وصححه، وقال في طبعته الثانية:

«**لما كان الشرحُ المتلقّى من التقرير ليس كالشرحِ المكتوبِ بالتحرير، رأيتُ من المهم أنْ أقرأَ الشرحَ بتمهّلٍ من أجل إخراجِ الشرحِ على الوجه المرضي، ففعلتُ ذلك ولله الحمدُ، وحذفتُ ما لا يُحتاجُ إليه، وزدتُ ما يحتاج إليه**».

وقد طبع الكتاب بعد أن فرغَ الشيخ من تحريره في عام ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥م، وقد وقع في مجلدين، وصدر عن دار ابن الجوزي في الدمام في العام المذكور نفسه، وعليه إذنٌ بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ بطباعته، وقد قام بتخريج أحاديث الكتاب والعناية به سعد بن فواز الصميل.

وقد كُثرت شروحُ كتاب «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، إلا أنَّ شرحَ الشيخ محمد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ تميَّز عنها بالأمور التالية:

١ ـ سهولة العبارة والألفاظ:

وسبب ذلك أنَّ هذا الشرحَ عبارةٌ عن مجالس أملاها الشيخ في المسجد، فكانَ ذلك سبباً في تسهيل العبارات والكلمات، وبذلك يستفيدُ منه المتعلِّم والمتخصص والباحث على حدٍّ سواء، إضافة إلى أنَّ تساؤلات طلبةِ العلم أثناء هذه المجالس ساعدَ على بيان الغامض، وما يشكِلُ عليهم فهمُه، مما زاد في إثراء الفوائد والمعلومات في هذا الشرح.

٢ ـ المنهج المتميز في شرح آيات الصفات:

فقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يشرح الآيات، ويبيّن ما فيها من فوائد وحكم، وخاصة في أمور الاعتقاد، ثم يذكر الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في إثبات الصفة التي تشير إليها الآية، ثم يذكر فوائد هذه الصفة وآثارها المسلكية والتربوية المستفادة من الإيمان بهذه الصفة.

٣ ـ كثرة المباحث والفوائد التي اشتمل عليها هذا الشرح في مسائل الاعتقاد في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٤ ـ قوة الحجة والدليل فيما يورده الشيخ ـ رحمه الله ـ من مسائل ومباحث وتفصيلات بديعة، مستخدماً في ذلك أدلةً متنوّعة، فمن أدلةٍ نقليةٍ، وعقليةٍ، وحسيَّةٍ، وفطريةٍ إلى غير ذلك.

* * *

١٧ ـ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد

أصل الشرح هو كتاب «**لمعة الاعتقاد**» الذي ألّفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، المولود في شعبان سنة ٥٤١هـ ، بقرية جمّاعيل من أعمال نابلس ، والمتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق ، رحمه الله تعالى .

وقد جمع مؤلِّف هذا الكتاب فيه زبدةَ العقيدةِ الصحيحةِ عند أهل السنة والجماعة ، ونظراً إلى أهمية الكتاب موضوعاً ومنهجاً ، وعدم وجود شرح له ، فقد قام الشيخ ـ رحمه الله ـ بشرحه . وقد فرغ من ذلك في مطلع عام ١٣٩٢هـ ، وكان مقرَّراً على طلاب المعاهد العلمية فترة من الزمن .

وصف الشيخُ ـ رحمه الله ـ عمله فيه بقوله :

«**فقد عقدتُ العزمَ ـ مستعيناً بالله ، مستلهماً منه الصواب في القصد والعمل ـ على أن أضع عليه كلماتٍ يسيرةٍ ، تكشِفُ غوامضه ، وتبيّنُ موارده ، وتبرز فوائده**» .

وقد قدّم بين يدي شرحه للكتاب **بقواعد مهمة** فيما يتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته .

القاعدة الأولى : في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله تعالى وصفاته .

القاعدة الثانية : في أسماء الله تعالى .

القاعدة الثالثة : في صفات الله تعالى .

القاعدة الرابعة : فيما نردُّ به على المعطّلة .

* * *

١٨ ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع

أصل هذا الكتاب هو كتاب «**زاد المستقنع مختصر المقنع**» ، وهو كتاب مختصر في الفقه الحنبلي ، سار فيه مؤلفه شرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٩٦٨هـ على ذكر قولٍ واحد ، وهو الراجحُ في مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

قام الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ بشرحه شرحاً طيباً ، وهو أوسعُ وأكبرُ شرح على الزاد ، فانتفع بهذا الشرح مَنِ استمع إليه في دروس الجامع الكبير في عُنيزة منذ عام ١٤٠٦هـ ، عندما شرع الشيخ ـ رحمه الله ـ في الشرح الجديد للكتاب، ولم يكتمل شرح الكتاب حتى توفي ـ رحمه الله ـ.

وقد انتفع به الطلاَّب الذين حضروا دروس الشيخ ـ رحمه الله ـ، واعتنوا بتسجيله وكتابته ، وقد كَثُر تداوله بين أهل العلم وطلاَّبه ، مسموعاً عبر الأشرطة المسجلة ، والمذكرات.

ثم قام الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل ، والدكتور خالد بن علي المشيقح بإخراجه في كتاب سمَّياه : «**الشرح الممتع على زاد المستقنع**». وخرَّجا أحاديثه ، ورقَّما آياته ، وعلَّقا عليه ما رأياه مناسباً. وذلك في ثمانية مجلدات ضخمة.

ثم قام الشيخ ـ رحمه الله ـ بإعادةِ النظر فيه ، وتهذيبه وترتيبه ، وقد تمَّ له ذلك بحمد الله ، فحذفَ ما لا يُحتاج إليه ، وزادَ ما تدعو الحاجة إليه ، وأبقى الباقي على ما كان عليه.

وقد قام بقراءة هذا التنقيح على الشيخ جماعةٌ من طلبة العلم؛ منهم : الشيخ الدكتور خالد بن علي المشيقح ، والشيخ خالد بن عبد الله المصلح ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن الأمير.

* * *

١٩ ـ شرح «المنظومة البيقونية» في مصطلح الحديث

هذه المنظومةُ في مصطلح الحديث صغيرةُ الحجم ، قليلةُ الأبيات ، عظيمةُ الفائدة ، لم تتجاوز أبياتُها أربعة وثلاثين بيتاً.

أمّا مؤلفها عمر بن محمد بن فتوح البيقوني الدمشقي الشافعي. فلا تكاد تعرف له ترجمة ، وقد اختلف في اسمه ، كما لم تعرف سنة ولادته ولا سنة وفاته تحديداً ، وإنْ ذُكِرَ أنه توفي في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري (١٠٨٠هـ).

ومع ذلك ، فإنَّ هذه المنظومة قد نالت من الشهرة والاهتمام من أهل العلم في مصطلح الحديث الشيءَ الكثير ، وقد عمَّ الانتفاعُ بها الطلبةَ في هذا الشأن ، معتمدين عليها نفسها ، أو على ما خُدمت به قديماً وحديثاً من شروح وتعليقات وحواشٍ[١] ، وهي كثيرة ، ومنها شرح الشيخ محمد بن عثيمين ، حيث قام ـ رحمه الله ـ بشرح هذه المنظومة على طلبته الملازمين له ، الذين قاموا بتسجيلها في أشرطة صوتية ، ثم رأى أن تطبعَ في كتاب ، لتعمَّ الفائدة بها ، فقام قبل طباعتها بمراجعتها بعد تفريغها من الأشرطة ، فحذَف ما لا يحتاج إليه ، وزاد ما تدعو الحاجة إليه.

وقدَّم بين يدي الشرح بمقدمة في علم مصطلح الحديث ، ذكر فيها تعريف هذا العلم ، وفائدته ، وأقسامه.

ثم شرع في شرح أبيات المنظومة بيتاً بيتاً ، مبتدئاً قبل ذلك بشرح البسملة ؛ حيثُ ذكر أولاً أنها آيةٌ من كتاب الله عزَّ وجلَّ ، ثم فصَّل ما فيها من فوائد نحوية ولغوية.

---

(١) من أشهرها شرح الشيخ محمد بن عبد الباقي الزُّرقاني المتوفى سنة ١١٢٢هـ وعليه حاشية للشيخ عطية الأجهوري المتوفى سنة ١١٩٠هـ (ن).

وبعدَ ذلك بدأ في شرح الأبيات ، ومنهجه في ذلك أن يشرح البيتَ كلمةً كلمةً إذا احتاج الأمر إلى ذلك ، أو أن يأخذَ المعنى الإجمالي للبيت ، ويفصِّل القول فيه ، ذاكراً أوجهَ الخلاف بين علماء المصطلح إن وجدت.

والشيخ ـ رحمه الله ـ في أثناء شرحه يأتي بكثيرٍ من الفوائد في علم المصطلح ، مما لم يذكر مفصلاً في منظومة البيقوني.

مثال ذلك: أنه ذكر تحت عنوان «مباحث حديثية» مبحثين:

ذكر في **المبحث الأول** أقسام الأخبار؛ وهي: الحديث ، والأثر ، والخبر.

وذكر في **المبحث الثاني** أحوال التلقي ثلاثة؛ وهي:

١ ـ أن يُصَرِّحَ بالسماع منه.

٢ ـ أن يثبت لُقيّهُ به دون السماع منه.

٣ ـ أن يكونَ معاصراً له ، ولكن لم يثبت أنه لقيه.

* * *

٢٠ ـ الضياء اللامع من الخطب الجوامع

مَنْ عرف الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ من خلال كتبه ومؤلَّفاته، عَرَفه عالِماً، فقيهاً، أصولياً، مفسِّراً، فرضِياً، ولكن مَنْ عَرَفَهُ عَنْ قُربٍ من تلامذته وغيرِهم، عرفه خطيباً مفوَّهاً، ملك زمام قلوب سامعيه بُحسن أسلوبه في الخطابة؛ فلم يكن ـ رحمه الله ـ يلجأُ إلى الحُوشِيِّ من الكلام، بل كانت ألفاظُه سهلةً سلسةً، تنبع من القلب فتصل إلى القلب.

كما أنه لم يكن يُملُّ سامعيه **بطول الخطبة**. وهو يمتثل في ذلك بما بيَّنه المصطفى ﷺ مِنْ أن **قَصِرَ خطبة الرجل وطول صلاته زيادةٌ في فقهِه**.

والشيخ ـ رحمه الله ـ كان يطرُق في خُطبه موضوعاتٍ شتَّى؛ في العقيدة، والفقه، والأحكام، والمواعظ، وغير ذلك.

وقد جمع الشيخ ـ رحمه الله ـ كثيراً من خطبه في كتاب واحد، جعله في عشرة أقسام، يشتمل كلُّ قسمٍ على موضوع من الموضوعات الرئيسة، وجعل تحت كل قسم فروعاً تناسبه. وذكر هذه الأقسام والفروع في مقدمة كتابه؛ وهي:

القسم الأول: في العلم، وهو فرع واحد.

القسم الثاني: في أصول الدين، وهو تسعة فروع:

١ ـ في أسماء الله تعالى.

٢ ـ في آيات الله تعالى.

٣ ـ في بعثة النبي ﷺ ومعجزاته وأخلاقه.

٤ ـ في غزوات النبي ﷺ.

٥ ـ في أشراط الساعة.

٦ ـ في أحوال القيامة والجنة والنار.

٧ ـ في الإيمان بالقدر .

٨ ـ في محاسن الإسلام .

٩ ـ في آداب إسلامية .

القسم الثالث: في العبادات ، وهو ستة فروع :

١ ـ في الطهارة وما يتعلق بها .

٢ ـ في الصلاة وما يتعلق بها .

٣ ـ في الزكاة .

٤ ـ في الصيام وزكاة الفطر وعيد الفطر .

٥ ـ في الحج والأضحية وعيد الأضحى .

٦ ـ في الجهاد .

القسم الرابع: في المعاملات ، وهو ثلاثة فروع :

١ ـ في النصيحة والأمانة .

٢ ـ في البيوع واكتساب المال .

٣ ـ في الوقف والوصية .

القسم الخامس: في النكاح ، وهو فرعان :

١ ـ في شروط النكاح .

٢ ـ في الصداق .

القسم السادس: في تربية الأولاد ، وهو فرع واحد .

القسم السابع: في الحدود والقصاص ، وهو فرعان :

١ ـ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ـ في القصاص والحدود .

القسم الثامن: في النفقات والأطعمة، وهو فرع واحد.

القسم التاسع: في مواضيع عامة.

القسم العاشر: في خطب خاصة في أشهر معينة، ووداع العام، وهو فرع واحد.

* * *

٢١ ـ فتاوى في أحكام الصيام

أصل هذا الكتاب مأخوذ من مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ. وهو يمثّل الجزء التاسع والعشرين من المجموع. وهو من جمع وترتيب تلميذه فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الذي عمل على إخراج العديد من كتب الشيخ، فجزاه الله خير الجزاء، وأجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة.

يحتوي هذا الكتاب على ٤٨٨ فتوى ومسألة تتعلق بأحكام الصيام. ويلاحظ على هذه الفتاوى أنَّ معظمها جاء مختصراً، دون تطويل وإسهاب، إلا ما دعت إليه الضرورةُ والحاجةُ لزيادة بيانٍ وإيضاحٍ. فكثيرٌ من الفتاوى جاء في نصف صفحة، أو صفحة، وقليل من الفتاوى استغرق أكثر من صفحة.

في بداية الكتاب أورد الجامعُ عدَّةَ رسائل قصيرة كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ، فيها بيان فضائل رمضان وضرورة الاستعداد له.

ثم أورد المسائل والفتاوى مرتبة على الأبواب، وكانت على النحو التالي:

١ ـ مكانة الصيام.

٢ ـ رؤية الهلال.

٣ ـ على من يجب الصوم.

٤ ـ إذا قامت البينةُ في نهار رمضان.

٥ ـ المرض والسفر والحمل والرضاع (الأعذار الموجبة للفطر).

٦ ـ حكمُ مَنْ نوى الإفطار.

٧ ـ ما يفسد الصوم ، وما يوجب الكفارة .

٨ ـ ما يكره ويستحب ، وحكم القضاء .

٩ ـ صوم التطوع .

١٠ ـ الاعتكاف .

* * *

٢٢ ـ فتاوى أركان الإسلام

يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من المسائل والفتاوى في أركان الإسلام الخمسة.

وأصل الكتاب مأخوذٌ من مجموعة مؤلفات الشيخ ـ رحمه الله ـ. وقد قام بجمعه وترتيبه أحدُ تلاميذ الشيخ؛ وهو فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. وقد قام كذلك بخدمة العديد من كتب الشيخ، والتي نعرِض لها في هذا الكتاب.

اشتمل كتاب «**فتاوى أركان الإسلام**» على ٥٣٩ مسألة وفتوى، موزَّعة على الأبواب التالية:

فتاوى العقيدة: من المسألة رقم ١ إلى المسألة رقم ١٢٠.

فتاوى الصلاة: من المسألة رقم ١٢١ إلى المسألة رقم ٣٥٣.

فتاوى الزكاة: من المسألة رقم ٣٥٤ إلى المسألة رقم ٣٩١.

فتاوى الصيام: من المسألة رقم ٣٩٢ إلى المسألة رقم ٤٤٨.

فتاوى الحج: من المسألة رقم ٤٤٩ إلى المسألة رقم ٥٣٩.

ويُلاحظُ على هذا الكتاب أنَّ كثيراً من مسائله أو فتاويه قد تكررت أكثر من مرّةٍ بصيغٍ مختلفة، ومن أكثر من سائل. ولكنّ مضمونَ الإجابة يكاد يكون واحداً، وإن اختلف الأسلوب. وأرى أنَّه كان من الممكن أن يُكتفى بسؤال واحد وجواب واحد إن كان الموضوع واحداً، منعاً للتكرار.

كما يُلاحظُ أنَّ كثيراً من المسائل قد تكررت في كتب أخرى من كتب الشيخ، والتي هي في أصلها مستلَّة من مجموع فتاويه؛ كما هو الحال في المسائل المتعلقة بالصيام، فكثيرٌ منها نجده في كتاب «فتاوى في أحكام

الصيام» ، والذي قام بجمعه وترتيبه الجامع نفسه. لكن الكتاب الأخير أوسع وأشمل؛ لأنّه أُفرِد في مسائل الصيام فحسب. فجزى الله المؤلف والجامع خير الجزاء.

* * *

٢٣ - فتح رب البرية بتلخيص الحموية

هو أوّلُ كتابٍ صنّفه الشيخ ـ رحمه الله ـ في حياته ، وقد طبع أول مرة سنة ١٣٨٠هـ ، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة.

وقد لخّصَ الشيخُ ـ رحمه الله ـ فيه كتاب «الفتوى الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وهي من أعظم فتاواه أثراً ، وأبلغها حجةً ونظراً. فلا عجبَ أن تجتذبَ اهتمامَ الشيخ ـ رحمه الله ـ، فيعتني بها في مقتبل عمره ، لِمَا تضمنته تلك الفتوى العظيمة من الأدلة القاطعة ، والنقولات الواضحة عن أئمة السلف المتقدمين : أنَّ مذهبهم في باب الصفات هو الإثبات ، لا التحريف ولا التعطيل ، ولا التمثيل ، ولا التفويض.

وفي ذلك قال الشيخ ـ رحمه الله ـ:

«ولَمَّا كان فهمُ هذا الجواب والإحاطةُ به مما يشقُّ على كثيرٍ من قُرَّائه ، أحببتُ أن ألخِّص المهم منه ، مع زيادات تدعو الحاجة إليها».

ولم يكتفِ ـ رحمه الله ـ بالتلخيص فقط ، وإنَّما أضافَ عناوينَ جانبيةَ توضِّحُ مقاصد الكتاب ، وأدرجَ في التلخيصِ قاعدةً نافعةً استفادها من كتاب «درء العقل عن مناقضة النقل» لشيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وذكر خلاصتها.

* * *

٢٤ ـ فصول في الصيام والتراويح والزكاة

من مزايا الشيخ وصفاته الكثيرة: أنَّه كان لا يدعُ مناسبةً إلا واغتنمها فيما يفيدُ المسلمينَ جميعاً ، أو فئة معينة منهم؛ كأنْ يكونَ في مناسبةٍ اجتماعيةٍ ، أو رسميةٍ ، أو مناسبةٍ دينيةٍ ، كحلول شهر رمضان ، أو موسم الحج ، أو غير ذلك.

ومن صفاته كذلك: أنه يراعي حالَ المخاطَبين في هذه المناسبة ، وحال المناسبة نفسها ، فهو يرى عدمَ الإطالةَ في الموعظة أو الدرس أو التأليف في تلك المناسبة إلا بقدر ما تقتضيه الضرورة.

وهاتان الصفتان نراهما في رسالته التي نحن بصددها ، وهي تتحدَّثُ عن الصيام ، وما يتعلَّق به؛ فرغم أنَّ للشيخ كتاباً مستقلاً شاملاً هو «فتاوى في أحكام الصيام»[1]، إلا أنَّه أراد أن يغتنمَ حلولَ شهر رمضان ليقدِّم للمسلمين رسالةً مختصرةً تحوي ما يهمهم وما يكثر السؤال عنه حول الصيام وما يتعلق به ، حيث قال:

«فإنَّه بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك ، فإننا نقدّمُ إلى إخواننا المسلمين الفصول التالية ، سائلين الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لله موافقاً ، لشريعته ، نافعاً لخلقه إنه جواد كريم».

وسرد هذه الفصول ، ثم بحثها بحثاً مختصراً سهل الفهم؛ وهذه الفصول هي:

الفصل الأول: **في حكم الصيام.**

الفصل الثاني: **في حِكَمِه وفوائده.**

---

(١) تحدّثت عنه برقم (٢١) ص (١٢٥).

الفصل الثالث: **في حكم صيام المريض والمسافر.**

الفصل الرابع: **في مفسدات الصوم وهي المفطرات.**

الفصل الخامس: **في التراويح.**

الفصل السادس: **في الزكاة وفوائدها.**

الفصل السابع: **في أهل الزكاة.**

الفصل الثامن: **في زكاة الفطر.**

* * *

٢٥ ـ فقه العبادات

الناظرُ في كتب الشيخ يجدُ أنَّ له أكثرَ من كتاب في الموضوع الواحد ، لكنّ بعض هذه الكتب كانت في أصلها فتاوى ومسائل أجاب عنها الشيخ ، وجُمِعَتْ في مجموع فتاويه ، ثم استُلّت هذه الفتاوى ، وبُوِّبت على موضوعاتها.

ومن الكتب التي تكررت موضوعاتها: هذا الكتاب الذي نعرضه «فقه العبادات» ، مع كتاب «فتاوى أركان الإسلام»، الذي عرضناه برقم (٢٢).

أمّا هذا الكتاب ، فهو في أصله مجموعةٌ من الأسئلة أعدّها الشيخ سليمان بن محمد الشبانة ، وقدّمها لصاحب الترجمة ، فتفضّل بالإجابة عليها. ثم فُرِّغت من الأشرطة المسجلة ، وطُبعتْ بعدَ ذلك طبعات كثيرة بعناية الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار.

والكتابان ، وإن كان موضوعُهما واحداً ، إلا أنهما يختلفان من حيث الحجم ، ومن حيث عدد المسائل والفتاوى في الباب الواحد. وأعرضُ فيما يلي الأبواب التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، وعدد ما في كل باب من المسائل. وأدع للقارى الكريم المقارنة بين الأبواب من حيث الحجم وعدد المسائل.

فتاوى العقيدة: وفيها من المسألة الأولى حتى المسألة ٦٣ .

فتاوى الطهارة: من المسألة ٦٤ إلى المسألة ٨٤ .

فتاوى الصلاة: من المسألة ٨٥ إلى المسألة ١١٠ .

فتاوى الزكاة: من المسألة ١١١ إلى المسألة ١٢٦ .

فتاوى الصيام: من المسألة ١٢٧ إلى المسألة ٢٠٥ .

فتاوى الحج: من المسألة ٢٠٦ إلى المسألة ٣٢٢ .

* * *

٢٦ ـ القواعد المُثلى في صفات الله واسمائه الحسنى

ألّف الشيخُ ـ رحمه الله ـ هذا الكتاب سنة ١٤٠٤هـ بعد أن شغب عليه بعض الناس وطُعِنَ في عقيدته بسبب سوء فهمٍ لكلامٍ صدر منه في صفة المعية ، فجاء ردُّه في هذا الكتاب واضحاً جلياً.

قال سماحة العلاَّمة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رحمه الله ، في تقديمه لهذا الكتاب ، مثنياً عليه ومعرِّفاً به :

«فقد اطَّلعتُ على المؤلَّف القيِّم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلاَّمة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، في الأسماء والصفات ، وسمَّاه **«القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى»** ، وسمعته من أوله إلى آخره ، فألفيتُه كتاباً جليلاً ، قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته ، كما اشتمل على قواعد عظيمة ، وفوائدَ جمَّةٍ في باب الأسماء والصفات ، وأوضح معنى المعيَّة الواردة في كتاب الله عزَّ وجلَّ . . . كما اشتمل على إنكارِ قولِ أهل التعطيل والتشبيه والتمثيل ، وأهل الحلول والاتحاد. فجزاه الله خيراً ، وضاعف مَثُوبَته. . . .

وذكر الشيخ في هذا الكتاب قواعد في أسماء الله تعالى ، وأخرى في صفات الله تعالى ، وقواعد في أدلة الأسماء والصفات. وساق أمثلة على ما ذكره من قواعد ، مدلِّلاً على كلِّ مثالٍ بما يناسبه من الكتاب والسنة. وأُجمِل هذه القواعد فيما يأتي :

قواعد في أسماء الله تعالى:

القاعدة الأولى : أسماء الله تعالى كلُّها حُسنى.

القاعدة الثانية : أسماءُ الله تعالى أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصافٌ باعتبار دلالتها على المعاني.

القاعدة الثالثة: أسماءُ الله تعالى إن دلَّت على وصف متعدٍّ تضمَّنت الاسمَ والصفةَ والحكمَ ، وإن دلَّت على وصفٍ غيرِ متعدٍّ تضمنَّت الاسمَ والصفة.

القاعدة الرابعة: دلالةُ الأسماء على الذات والصفات تكونُ بالمطابقة والتضمُّن والالتزام.

القاعدة الخامسة: أسماءُ الله تعالى توقيفية ، لا مجالَ للعقل فيها.

القاعدة السادسة: أسماءُ الله تعالى غيرُ محصورة بعدد معيَّن.

القاعدة السابعة: الإلحادُ في أسماء الله تعالى هو الميل بها عمَّا يجب فيها.

قواعد في صفات الله تعالى:

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلُّها صفات كمال ، لا نقصَ فيها بوجه من الوجوه.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

القاعدة الثالثة: صفاتُ الله تعالى قسمان: ثبوتية وسلبية.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفاتٌ مدحٍ وكمالٍ.

القاعدة الخامسة: الصفاتُ الثبوتية تنقسم قسمين: ذاتية وفعلية.

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التَّخلِّي عن التمثيل والتكييف.

قواعد في أدلة الأسماء والصفات:

القاعدة الأولى: أسماءُ الله وصفاته لا تثبتُ بغير الكتاب والسنة.

القاعدة الثانية: الواجبُ في نصوص القرآن والسنَّة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف.

القاعدة الثالثة: **ظواهر نصوص الصفات معلومةٌ لنا باعتبار المعنى، ومجهولة باعتبار الكيفية.**

القاعدة الرابعة: ظاهرُ النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني يختلف بحسب السياق. وما يُضاف إليه الكلامُ، فالكلمةُ الواحدةُ يكون لها معنى في سياق، ومعنًى آخر في سياق آخر. وتراكيبُ الكلام يفيدُ معنى على وجه، ومعنى آخر على وجه آخر.

وقد كتب هذا الكتاب بأسلوب خال من التعقيد والحشو، وتميز بتقسيمات بديعة، ونماذجَ فريدة من الأمثلة التي توضح المقصود بأوجز عبارة مع حسن البيان، وشموله لمعظم قواعد هذا الباب.

* * *

٢٧ ـ القول المفيد على كتاب التوحيد

وهو شرح قيِّم على متن «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ، وقد قام الشيخ محمد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ بشرحه للطلبة في أثناء جلساته العلمية في الجامع الكبير بعُنيزة ، وقام الطلاب بتسجيله .

ثم قام الدكتور سليمان العبد الله أبا الخيل ، والدكتور خالد المشيقح بتفريغ المسجَّل كتابةً ، وقاما بطبعه وسمَّياه : «القول المفيد على كتاب التوحيد» .

وقد قُرِئَ على الشيخ في الجامع الكبير ، حيث أتمَّ القراءة في عام ١٤١٤هـ ، وصدر في ثلاثة مجلدات .

وبعد صدوره أجرى عليه الشيخ بعضَ التعديلات بزيادةٍ أو حذفٍ تدعو الحاجة إليه ، وأعيدَ طباعته بعد مراجعته في عام ١٤١٧هـ .

وقد اشتمل الكتاب على تقريرات نافعة ، وبحوثٍ مفيدة ودقيقة في مسائل التوحيد العلمي والعملي .

* * *

٢٨ ـ كتاب العلم

هذا الكتاب من الكتب النافعة والمفيدة التي كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ؛ ولا أبعدُ إنْ قلتُ: إنه بمثابة المفتاح لباب طلب العلم، أو هو الهادي في طريق الطلب.

وقد جعل المؤلف كتابه في خمسة مباحث، قسَّمها فصولاً بحسب حاجة كل مبحث منها.

المبحث الأول، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تعريف العلم لغة واصطلاحاً.

ويذكر الشيخ أنَّ المقصود بهذا الكتاب هو **العلم الشرعي**، مع لفت النظر إلى الاهتمام بالعلوم الأخرى من طبٍّ وصناعاتٍ وغير ذلك، ويرى أنها من فروض الكفايات؛ وذلك أنَّه لا بدَّ للناس من الاحتياج إليها.

الفصل الثاني: في فضائل العلم:

ويذكر أنَّ العلم من أفضل الأعمال الصالحة، ومن أجلِّ العبادات، بل هو نوعٌ من الجهاد في سبيل الله.

ثم يذكر ثلاث عشرة فضيلةٍ من فضائل العلم؛ ومن ذلك:

١ ـ أنه إرث الأنبياء.

٢ ـ أنه يبقى، والمال يفنى.

٣ ـ أنه لا يتعب صاحبه في الحراسة.

٤ ـ أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق.

٥ ـ أن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم.

٦ ـ أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى حتى تقومَ الساعة.

٧ ـ أنه طريق الجنة .

٨ ـ أن العلم نور يستضيءُ به العبدُ .

٩ ـ أن العلم نورٌ يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم .

١٠ ـ أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا .

الفصل الثالث: حكم طلب العلم:

ويبيّن ـ رحمه الله ـ في هذا الفصل باختصار أنَّ طلب العلم الشرعي من فروض الكفايات ، إذا قام به البعض أصبحَ في حقِّ الآخرين نافلةً ، إلا أنه قد يكونُ في حقِّ الإنسان المسلم فرضَ عينٍ فيما يخصُّ معرفته كيفية أداء العبادات ، أو ما يخص قيامه ببعض المعاملات التي لا بد من معرفة أحكامها الشرعية ما يحل أو يحرم منها .

المبحث الثاني: وفيه فصلان:

الفصل الأول: في آداب طالب العلم:

ويذكر منها :

١ ـ إخلاص النية لله .

٢ ـ رفع الجهل عن نفسه وعن غيره .

٣ ـ الدفاع عن الشريعة .

٤ ـ رحابة الصدر في مسائل الخلاف .

٦ ـ العمل بالعلم ، والدعوة إلى الله ، والحكمة .

٦ ـ أن يكون الطالب صابراً على العلم .

٧ ـ احترام العلماء وتقديرهم .

٨ ـ التمسك بالكتاب والسنَّة .

٩ ـ التثبت فيما ينقل، والثبات على الدين، والحرص على فهم مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ.

الفصل الثاني: الأسباب المعينة على طلب العلم:

ويذكر منها:

١ ـ التقوى.

٢ ـ المثابرة والاستمرار على طلب العلم.

٣ ـ الحفظ وضبط ما تعلَّمه.

٤ ـ الحرص على المذاكرة.

المبحث الثالث، وفيه فصلان:

الفصل الأول: طرق تحصيل العلم:

يقول ـ رحمه الله ـ:

«من المهم لطالب العلم أن يبني طلبه للعلم على أصولٍ: وهي الأدلة من الكتاب والسنة، ولا يتخبّطَ خبط عشواء».

ثم يذكر أن لنيل العلم طريقين:

أحدهما: أن يتلقى ذلك من الكتب الموثوق بها، التي ألَّفها علماءُ معروفون بعلْمهم، وأمانتهم، وسلامة عقيدتهم من البدع والخرافات.

ويذكر ـ رحمه الله ـ أنَّ هذا الطريق يحتاج إلى وقت طويل ومعاناة شديدة. كما أنَّ صاحبه لا يكونُ قوياً في العلم، ويكثر منه الخطأ والزلل.

والطريق الثاني: من طرق تحصيل العلم أن تتلقى ذلك من معلم موثوق في علمه ودينه. وهذا الطريق أسرعُ وأتقنُ للعلم.

الفصل الثاني: أخطاء يجب الحذر منها:

ويذكر من ذلك:

١ ـ **الحسد؛ بأن يحسد غيره من العلماء أو الطلبة على ما آتاهم الله من العلم**. ويورد الأدلة الناهية عن الحسد ، ثم يذكر عشرة محاذير يقع فيها الحاسد.

٢ ـ الإفتاء بغير علم.

٣ ـ الكبر.

٤ ـ **التعصب للمذاهب والآراء**.

٥ ـ **سوء الظن بالآخرين**.

المبحث الرابع: وفيه فصلان:

الفصل الأول: ويذكر في هذا الفصل خمسة أمور:

الأمر الأول: قواعد مهمة لطالب العلم ، في كيفية التعامل مع الكتاب.

ومن ذلك:

١ ـ معرفة موضوع الكتاب.

٢ ـ معرفة مصطلحاته.

٣ ـ معرفة أسلوبه وعباراته.

الأمر الثاني: أنَّ مطالعة الكتب على نوعين: مطالعة تدبر وتفهم ، ومطالعة استطلاع فقط.

والأمر الثالث: جمعُ الكتب.

الأمر الرابع: الحرص على الكتب المهمة.

والأمر الخامس: تقويم الكتب.

ثم يختم هذا الفصل بإيراد عناوين لكتبٍ مختارةٍ في مختلف الفنون؛ من عقيدة ، وحديث ، وفقه ، وفرائض ، وتفسير ، وغير ذلك.

الفصل الثاني: وفيه مئة وتسع عشرة فتوى تدور جميعها حول موضوع العلم.

المبحث الخامس: رسائل مختارة حول موضوع العلم:

الرسالة الأولى: حُسْنُ الخُلق وأهميتُه لطالب العلم.

الرسالة الثانية: الخلافُ بين العلماء، أسبابه، وموقفنا منه.

الرسالة الثالثة: حَثُّ طلبة العلم على الالتحاق بجماعات تحفيظ القرآن الكريم.

الرسالة الرابعة: في التحذير من الحسدِ، وبيانِ خطره.

الرسالة الخامسة: في بيانِ خطرِ التقوُّل على العلماء.

الرسالة السادسة: في بيان الموقفِ الصحيحِ نحو العلماء.

الرسالة السابعة: في التحزُّبِ، خطرُه، وضررُه.

الرسالة الثامنة: فضلُ تلاوةِ كتابِ الله تعالى، والحثُّ على تعلّمه وتعليمه.

* * *

٢٩ ـ مجالس شهر رمضان

هذا كتاب متوسّطُ الحجم ، كثيرُ النفع ، يحوي فوائدَ جمَّة في الفقه والأحكام والترغيب والترهيب وتزكية النفوس. قال الشيخ في مقدمته:

«هذه مجالسُ لشهر رمضان المبارك تستوعبُ كثيراً من أحكامِ الصيامِ ، والقيامِ ، والزكاةِ ، وما يناسبُ المقامَ في هذا الشهر الفاضلِ ، رتَّبتُها على مجالسَ يوميةٍ أو ليليةٍ».

وهو ـ رحمه الله ـ يؤدّي أمانة العلم بعزوه إلى أهله ، إذ يقول عن مادة هذا الكتاب:

«إنه انتقاها من كتاب «قُرّة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة» مع تعديلٍ ما يُحتاجُ إلى تعديله ، وأكثرتُ فيها من ذكر الأحكام والآداب لحاجةِ الناس إلى ذلك. وهذا الكتاب هو من تأليف الشيخ أبي بكر بن محمد الملا الأحسائي».

وعِدَّة هذه المجالس ثلاثون مجلساً تتناسب وأيام شهر رمضان ، ومادتها أيضاً تناسب أيام الشهر الفضيل ، فهو في البداية يتحدث عن فضائل شهر رمضان وفضل صيامه ، والحِكَمِ المستفادة من ذلك ، وإذا تحدَّثَ عن غزوة ذكرها في التاريخ الذي وقعت فيه ، وفي المجالس الأخيرة يتحدّثُ عن فضل العشر الأواخر من رمضان ، وضرورة الاجتهاد في العبادة فيها.

وأذكر الآن عناوين المجالس الثلاثين ، كما أوردها الشيخ ـ رحمه الله ـ:

المجلس الأول: في فضل شهر رمضَان.

المجلس الثاني: في فضلِ الصِّيَام.

* * *

٣٠ ـ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين

أصل هذا الكتاب من فتاوى الشيخ ـ رحمه الله ـ في برنامج «**نور على الدرب**» ، الذي تبثه إذاعة القرآن الكريم بالرياض ، ومن فتاوى الحرم المكي ، ومن أشرطة فقه العبادات ، وبعض المحاضرات ، وما نشر في الصحف والمجلات من الفتاوى ، وما كان يرسله ـ رحمه الله ـ من الفتاوى إلى جامع هذه الفتاوى فهد بن ناصر السليمان .

وقد بدأ الشيخ فهد السليمان بجمعها في مساء يوم الأربعاء ٢٢ / ٢ / ١٤٠٧هـ ، بعد أن أخذ الإذنَ والموافقة على ذلك من الشيخ ـ رحمه الله ـ وكان يعرِضُ ما يجمعه عليه ، فيقرؤه بنفسه ، ويصححه بعناية فائقة .

وقد أعطى الشيخ هذه الفتاوى الكثيرَ من وقته الثمين ، حتى كانت ترافقه في أسفاره ، وبدأ الشيخ ـ رحمه الله ـ في مراجعتها يوم الجمعة ٢٩ / ١٠ / ١٤٠٧هـ .

وممّا ينبغي التنبيهُ عليه أنَّ بعض الأسئلة قد تتكرر ، وفي ذلك جملة من الفوائد لا تخفى ؛ منها : أن بعض الإجابات تكونُ مختصرةً ، وبعضها متوسط ، وبعضها مطوَّل ، ولكلٍّ طالب ، كما أنَّ الأدلةَ تتنوع في تلك الفتاوى بحيث يجتمع لدى القارئ أكثرُ من دليل في المسألة الواحدة ، إلى غير ذلك من المصالح .

وقد سمَّاها جامعها «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» وتقع في عشرين مجلداً .

* * *

٣١ ـ مجموعة أسئلة تهمُّ الأسرة المسلمة

هذه الرسالة ، على وجازتها ، أرى أنّها في غاية الأهمية؛ لأنَّها تنبئُ عن شخصية الشيخ الفقهية ، ونظرته إلى كثير من الأمور ، والأسس والقواعد التي كان يبني عليها فتواه أو رأيه الفقهي في القضية المسؤول عنها. كما تبيّنُ سعة أفقه ، ونظرته الواقعية ، واطّلاعه على كثير من الأمور العصرية، وعدم تعصُّبه لرأي ما ، وهو لا يجدُ غضاضةً في الرجوع عن فتوى كان أفتى بها إذا تبين له خلاف ذلك. . . وغير ذلك من الأمور التي أرى من المستحسن أن أذكرها ، ثم أُمثّل لها بكلام الشيخ نفسه.

نرى أنّ الشيخ ـ رحمه الله ـ عندما يفتي بحرمة أمر ما ، فإنه يضطر في بعض الأحيان إلى معرفة هذا الشيء عن قرب؛ فعندما سئل عن المجلاّت التي تُعنى بالموضة ، وفيها ما فيها من الصور المحرمة ، قال:

«اطلعت على كثير من هذه المجلات ، فألفيتُها مجلاتٍ خليعةٍ فظيعةٍ خبيثةٍ».

وعندما سئل عن ألعاب الأطفال أو برامج الأطفال التي تحتوي على الموسيقا ، سمع أولاً بعضاً منها ، ثم أفتى بقوله:

«هذا الذي سمعته تتقدَّمه موسيقا ، والموسيقا من المعازف المحرمة».

ونرى أيضاً أنّه يفتي بالنهي عن الأمر الحلال إذا تبيَّن ضررُه ، وثبت بقول أهل الخبرة والاختصاص؛ كما ذكر في مواد التجميل التي هي في أصلها حلال ، حيث قال:

«سمعت أنَّ المكياج يضرُّ بشرةَ الوجه ، وأنه بالتالي تتغير به بشرة الوجه تغيُّراً قبيحاً قبل زمن تغيُّرها في الكبر ، وأرجو من النساء أن

يسألنَ الأطباء عن ذلك. فإذا ثبتَ ذلك كان استعمالُ المكياج إمّا محرماً أو مكروهاً على الأقل؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ يؤدي بالإنسان إلى التشويه والتقبيح، فإنَّه إمَّا محرّمٌ وإما مكروه».

وقال مثل ذلك في تحمير الشفاه:

«تحمير الشفاهِ لا بأسَ به، لأن الأصل الحل حتى يتبيَّن ضرره، ولكنّ التحميرَ إنْ تبين أنه مضر للشفةِ، ينشّفها، ويزيل عنها الرطوبة والدهنية فإنَّه في مثل هذه الحالُ يُنهى عنه».

وكذلك نراهُ ينبّه إلى أمر الإسراف في الحلال، الذي ربما يؤدي إلى إضاعة المال المنهي عنه؛ كما قال في سؤاله عن حكم تصفيف الشعر:

«الذي بلغني عن تصفيف الشعر أنّه يكونُ بأجرة باهظة كثيرة، قد نَصِفُها بأنها إضاعة مال. والذي أنصحُ به نساءنا أن يتجنبن هذا الترف، وللمرأةِ أن تتجمّلَ لزوجِها على وجهٍ لا يضيعُ به المال هذا الضياع».

كما نبّه أيضاً على الإسراف المبتذل في بطاقات الأفراح، فقال:

«أرى أنَّ بذلَ المالِ الكثيرِ لمجرّدِ دعوةٍ قد يجيبُ المدعو بها وقد لا يجيبُ، ومآلها إلى رميها في الأرض، فأقولَ: إنَّ هذا من التبذير الواضح الذي نهى الله عنه».

ويقترح ـ رحمه الله ـ اقتراحاً طيباً ومفيداً من الممكن استثماره في بطاقات الأفراح؛ كأن تحتوي على كلماتٍ مأثورةٍ ومفيدةٍ، أو أن يكونَ معها شريطٌ نافعٌ.

والشيخ ـ رحمه الله ـ يُعمِلُ قاعدةَ: **«إذا ضاقَ الأمرُ اتّسع»** في فتواه بجواز لبس المرأةِ للثوبِ الأبيض ليلةَ زفافها، مع أنّه في أصله من عادات الكفار، التي وردت إلى ديار المسلمين، فيقول:

«أما كونه تشبُّهاً بالكفار ، فقد زالَ الآنُ هذا التشبُّه ، لكونِ كُلِّ المسلمين إذا أرادت النساء الزواجَ يلبَسْنه ، والحكمُ يدورُ مع علّته وجوداً وعدماً. فإذا زالَ التشبُّهُ ، وصار هذا شاملاً للمسلمين والكفار زال الحكم».

وهو ـ رحمه الله ـ يصدعُ بالحقِّ ، ويفتي بما يدين الله به ، حتى وإنْ كان لا يرضي كثيراً من الناس ، إمّا تمسكاً بعادة ، أو تسلّطاً على عباد الله المؤمنين؛ كما قال:

«أريدُ أن أقولَ كلمةً أبرأُ بها عند الله من مسؤوليتكم: إنّه لا يجوزُ للإنسان أن يبقي زوجته عند أخيه في بيتٍ واحدٍ مهما كانت الظروف ، حتى لو كان الأخُ من أوثق الناس ، وأصدقِ الناس ، وأبرِّ الناس ، فإنَّ الشيطانَ يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والشهوة الجنسية لا حدودَ لها لا سيّما مع الشباب».

وعندما ذُكر له أنَّ بعض البلدان تجبرُ المسلمات على خلع الحجاب ، أفتى بعدم جواز ذلك ، وقال:

«فالذي أرى أنّه يجبُ على المسلمات في هذه البلدة أن يأبينَ طاعة أولي الأمر في هذا الأمر المنكر ، لأنَّ طاعةَ أولي الأمر في الأمر المنكر مرفوضةٌ».

وكما قلنا سابقاً ، فإنّه لا يجدُ غضاضة في الرجوع عن فتوى كان أفتى بها إذا تبيَّن له خلافُ ذلك ، كما قال في مسألة الرقص للنساء في حفلات الزواج:

«الرقصُ مكروهٌ ، وكنتُ في أوّلِ الأمر أتساهلُ فيه ، ولكن سئلتُ عدةَ أسئلة عن حوادث تقع في حالِ رقص المرأة ، فرأيتُ المنع منه؛ لأنَّ بعضَ الفتيات تكون رشيقةً وجميلةً ، ورقصُها يفتِنُ النساء بها ،

حتى إنّه بلغني أنَّ بعضَ النساء إذا حصل مثل هذا تقومُ وتقبِّلُ المرأة التي ترقص ، وربما تضمُّها إلى صدرها ، ويحصل في هذا فتنة ظاهرة» .

وقال في موضع آخر :

«وأما الرقصُ من النساء ، فهو قبيحٌ ، لا نفتي بجوازه لما بلغنا من الأحداث التي تقع بين النساء بسببه» .

وهناك كثيرٌ من الفوائد التي يمكن استنباطها من هذه الرسالة ، ومن رسائل الشيخ وكتبه الأخرى ، والتي ينبغي دراستها دراسة متمحِّصة .

* * *

٣٢ ـ مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب

سبق القول: أنّ الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ كان عالماً موسوعياً، ذا دراية واسعة بكثير من أنواع العلوم؛ ومنها علوم العربية، التي قرأها على كبار مشايخه؛ مثل الشيخ عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ الذي قرأ عليه النحو والبلاغة، حتّى تمكَّنَ من معرفة أسرار اللغة العربية وبلاغتها، مدركاً أن علوم العربية خادمةٌ للعلوم الشريعة، ولا يمكن للمفسِّر أو الأصولي أو الفقيه أن يتقن هذه العلوم ما لم يتقنِ العربيةَ وعلومها.

وعلم النحو، كما قلنا، من العلوم التي أتقنها الشيخ، وعلَّمها غيرَه، بل وألَّف فيها. ومن ذلك اختصاره لكتابٍ من أشهر كتب النحو، وأكثرها انتشاراً بين طلبة العلم؛ وهو كتاب **«مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»**، من تأليف إمام اللغة في عصره، أبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، المعروف بابن هشام، والمتوفى سنة ٧٦١هـ.

وقد فرغ من اختصاره في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٩هـ، كما ذكر في آخر الكتاب.

وقد حافظ ـ رحمه الله ـ على ترتيب الكتاب، كما وضعه مؤلفه ابن هشام، حيث أبقى على أبوابه الثمانية، إلا أنّه أطال النَّفَس في بعض الأبواب، كما في الباب الأول، الذي استغرق ٨٩ صفحة من أصل ١١٢ صفحة، واقتصر في بعض الأبواب على ذكر بعض ما ورد فيها، ومثال ذلك الباب الخامس، الذي ذكر فيه المؤلف جهاتٍ يدخُل على **المعرب**(١)

(١) المعرب للقرآن الكريم (ن).

الاعتراضُ من جهتها ، حيث أورد عشر جهات ، فاقتصر الشيخ على ذكر الجهة الخامسة منها. وكذلك ما قاله ابن هشام في الباب السادس ، وهو في أمور اشتهرت بين **المعربين** ، والصوابُ خلافها ، حيث قال: ويحضرني منها عشرون موضعاً. فاكتفى الشيخ بذكر ستة مواضع منها. ولم يتعرَّض للباب السابع بأي ذكر.

أما الأبواب؛ فهي:

الباب الأول: في تفسير المفردات ، وذكر أحكامها.

الباب الثاني: في تفسير الجملة وأحكامها.

الباب الثالث: في أحكام الظرف والجار والمجرور.

الباب الرابع: في أحكامٍ يكثر دورانها ، ويقبح **بالمعرب** جهلُها ، وعدم معرفتها على وجهها.

الباب الخامس: ذكر جهات يدخل على **المعرب** الاعتراضُ من جهتها.

الباب السادس: في أمور اشتهرت بين **المعربين** ، والصواب خلافها.

الباب السابع: في كيفية **الإعراب**.

الباب الثامن: في أمور كلِّيَّة ، وفيه إحدى عشرة قاعدة نحوية.

وقد اعتنى الأستاذ فريد بن عبد العزيز الزامل السُّليم بإخراج هذا الكتاب ، مكتفياً بإخراج النص ، دون إضافة تعليقات من عنده ، واقتصر عمله على: عزو الآيات القرآنية ، وتخريج الأحاديث النبوية ، وتخريج

الشواهد الشعرية ، وتوثيق النقول من مصادرها ، ووضع الفهارس التفصيلية ، التي اشتملت على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشواهد الشعرية ، والأعلام والأماكن والقبائل ، مختتماً لها بفهرس الموضوعات الواردة في الكتاب .

* * *

٣٣ ـ مذكرة على العقيدة الواسطية

طبعت هذه المذكرة مرة بعنوان «العقيدة الواسطية»[١]، ومرة باسم «تعليقات على العقيدة الواسطية»[٢].

وقد ألّفها الشيخُ ـ رحمه اللهُ ـ مذكرةً للمهم من مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية في مادة التوحيد على «كتاب العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد سلك فيها الشيخ ـ رحمه الله ـ مسلك التلخيص والتقريب ، بوضع التقسيمات النافعة ، والتعريفات المركزة ، مع المحافظة على مضمون الأصل ، وإضافة ما تدعو الحاجة إليه.

ومن المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كان يحتفي بها ، ويحيل عليها.

ونشير إلى أنّ هذه العقيدةَ كانت أولَ ما تعلَّمه الشيخ ـ رحمه الله ـ في صباه على يد أحد المعيدين من كبار تلاميذ شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ فظلّ يعتني بها تلخيصاً وتدريساً.

* * *

---

(١) طبعة مكتبة الهدى الإسلامية عام ١٤٠٦هـ.

(٢) طبعة دار الوطن عام ١٤١٢هـ.

٣٤ ـ مصطلح الحديث

أصل هذا الكتاب هو منهجٌ أعّده الشيخ ـ رحمه الله ـ لطلبة السنتين الأولى والثانية من القسم الثانوي في المعاهد العلمية ، وقد راعى ـ رحمه الله ـ أن يكونَ الكتابُ وسطاً ، سهلَ التناول ، يشتمِلُ على المهم من علم مصطلح الحديث بأسلوب سهل خالٍ من التعقيد .

وجعل الكتاب في قسمين : كل قسم يشتمل على مقرر سنة من السنتين الدراسيتين .

ولَمَّا كثر النفع بهذا الكتاب ، لاختصاره وصغر حجمه ، مع كبير فائدته ، فإنَّ قراءته لم تقتصر على طلاب المعهد العلمي ، بل استفاد منه الكثيرُ ممّن يطلبُ معرفة علم مصطلح الحديث بأسلوب سهل وميسَّر ، فوجدوا فيه طُلبَتهم ومبتغاهم .

أما موضوعات الكتاب؛ فتشتمل على قسمين كما أسلفنا :

القسم الأول : وفيه بحثُ تعريف مصطلح الحديث وفائدته ، وكذلك تعريفُ الحديث والخبر والأثر والحديث القدسي .

ثم تحدَّثَ عن الحديث **باعتبار طرق نقله** ، وجعله في نوعين : متواتر ، وآحاد ، وتعريف كلٍّ منهما وأنواعه .

ثم بحث باختصار في موضوعات : منقطع السند ، والتدليس ، والاضطراب في الحديث ، والإدراج في المتن ، والزيادة في الحديث ، واختصار الحديث ، ورواية الحديث بالمعنى ، وعلم الجرح والتعديل ، والحديث الموضوع ، وذكر في كل باب منها : تعريفه وأقسامه وحكمه .

القسم الثاني : وبحث فيه أقسام الخبر باعتبار من **يضاف إليه**؛ وجعله أقساماً ثلاثة : المرفوع ، والموقوف ، والمقطوع .

وذكر في هذا القسم أيضاً طبقات الرواة ، والتعريف بكل طبقة منهم؛ وهم: الصحابة ، والمخضرمون ، والتابعون.

ثم عرَّج بعد ذلك على الحديث عن الإسناد؛ ذاكراً تعريفه وأقسامه وأهم المسانيد.

ثم ذكر الحديثَ المسلسل وتعريفه ، والفائدة المترتبة عليه.

وتحدَّث بعد ذلك عن **تحمُّل الحديث وأدائه**؛ من حيث تعريفه وشروطه وأنواعه.

ثم ذكر كتابة الحديث وتعريفها ، وحكمها ، وصفتها ، وتدوين الحديث النبوي ، وطرق تصنيفه.

ثم تحدَّث عن الكتب الستة؛ وهي: «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«سنن النسائي» و«سن أبي داود» و«سنن الترمذي»[1] و«سنن ابن ماجه». إضافة إلى «مسند الإمام أحمد بن حنبل» ، وتحدث بإيجاز عن كل كتاب من هذه الكتب ومنهجه ، ومعرفاً بمؤلفه تعريفاً مختصراً.

ثم ختم الشيخ ـ رحمه الله ـ كتابه هذا بإيراد بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلَّى بها العالم والمتعلم على حدٍّ سواء.

* * *

(١) واسمه الصحيح «الجامع الكبير» وقد نشر بهذا الاسم محققاً تحقيقاً علمياً بعناية الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله (ن).

٣٥ ـ من مشكلات الشباب

طرق الشيخ ـ رحمه الله ـ في هذه الرسالة موضوعاً بالغَ الأهمية ، يخصُّ شريحةً عريضةً من المجتمع ، ألا وهي فئةُ الشباب ، التي تشكِّلُ النسبة العُظمى من أيِّ مجتمعٍ كان. ولهم عالمهم الخاصُّ ، ومشكلاتهم الخاصَّة.

وقد عمل الشيخ على تلمُّس مشكلات الشباب المسلم ، وتشخيصها ، والعمل على حلِّها قدر الإمكان. وهو ينطلِقُ من سَعَة أفق ، وبعد نظر ، وواقعية لِما يعانيه أبناؤه الشباب ، وكأنه يعيش واقعهم ، وهو الشيخ الكبير الجليل الوقور.

وهو في مقدمة رسالته يشخِّص المشكلة قائلاً عن مشكلة الشباب إنها :

«مشكلةٌ من أهمِّ المشاكل ، لا في المجتمع الإسلامي فحسب ، بل في كل مجتمع ، وهي مشكلةُ الشباب في هذا العصر؛ فإنَّ الشبابَ يَرِدُ على قلوبِهم من المشاكل الفكرية والنفسية ما يجعلهم أحياناً في قلق من الحياة ، محاولين جهدهم التخلُّصَ من ذلك القلق ، وكشف تلك الغُمَّة».

ويرى الشيخ ، ـ رحمه الله ـ أنَّ حلَّ المشكلة يكمن بالتعايش مع الشباب أنفسهم ، وتلمُّس واقعهم ، ومعرفة أفكارهم : فيقول :

«إنَّ الأجدر بنا أن ننطلق من البداية ، فنتأملَ في شبابنا ، وما هم عليه من أفكار وأعمال كي ننمِّيَ منها ما كان صالحاً ، ونصلح منها ما كان فاسداً».

وحتى نُحسِنَ التعامل مع الشباب ، ومعرفة أفكارهم وآراءهم وسلوكهم ، فإنَّ الشيخ يصنِّفهم أقساماً ثلاثة :

١ ـ شباب مستقيم.

٢ ـ وشباب منحرف.

٣ ـ وشباب متحيِّر بين بين.

فالقسم الأول من الشباب: **مفخرةُ الأمة، ورمزُ حياتها وسعادتها ودينها**، وهو الشبابُ الذي نرجو الله من فضله أن يصلحَ به ما فسدَ من أحوال الإسلام والمسلمين، وينيرَ به الطريق للسالكين، وهو الشباب الذي ينال السعادة في الدنيا والآخرة.

والقسم الثاني: **فهو شؤمٌ على نفسه**، ونكبةٌ على مجتمعه، يجرُّ أمَّته إلى أسفل السافلين، ويحول بينها وبين العزة والكرامة، جرثومةٌ وبيئةٌ قاتلةٌ صعبة العلاج، إلا أن يشاء الله، والله على كل شيء قدير.

أما القسم الثالث: **فهو سلبي في حياته**، يحتاجُ إلى جاذب قوي يقوده إلى حظيرة الحق وطريق الخير.

بعد ذلك يذكر الشيخ أهمَّ أسباب انحراف الشباب؛ ومنها:

١ ـ الفراغ.

٢ ـ الجفاء، والبعد بين الشباب وكبار السن من أهليهم ومن غيرهم.

٣ ـ الاتصال بقوم منحرفين ومصاحبتهم.

٤ ـ قراءة الكتب الهدامة، من رسائل وصحف ومجلَّات وغيرها مما يشكك المرءَ في دينه وعقيدته.

٥ ـ ظنَّ بعض الشباب أنَّ الإسلام تقييدٌ للحريات، وكبتٌ للطاقات.

ثم يورد بعض الإشكالات والتساؤلات التي تَرِدُ على قلوب الشباب، ويجدون الحيرة في الإجابة عنها، مثل مسألة القدر.

ويختمُ رسالته بإيراد بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي جاء فيها ذكر الشباب.

* * *

٣٦ ـ المناهي اللفظية

هذه رسالة لطيفة اشتملت على مئة وخمسة من الأسئلة التي أجاب عليها الشيخ ـ رحمه الله ـ وتختصُّ ببعض الألفاظ والعبارات التي يتداولها كثير من الناس ، والحكم الشرعي فيها .

والمتأمل في فتاوى الشيخ عن هذه العبارات يلمس سعةَ أفقه ـ رحمه الله ـ وبُعده عن التنطع والغلوِّ ، أو التشدُّد في الفتوى ، خلافاً لما عليه بعضُ من يفتي بحرمة كثير من المباحات .

وأشيرُ ابتداءً إلى أنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ لا يستنكف عن الإجابة بلا أدري عند عدم العلم بالمسألة . فعندما سُئل عن التسمية بأسماء : أبرار ، وملاك ، وإيمان ، وجبريل ، وجني ، أجاب بقوله : لا يتسمى بأسماء : أبرار ، وملاك ، وإيمان ، وجبريل . أما جني ، فلا أدري معناها .

وهو يلتمسُ المعاذير لمن يتلفَّظ بألفاظ ظاهرُها الحُرمة ، أو ربّما الكفر ، وهو يحسِنُ الظنَّ بمن قال مثل ذلك الكلام ، ويُغلِّبُ الظنَّ أنه ما قال ما قاله إلا عن حسن قصد ، أو جهلاً منه في مفهوم ما قال .

ومثال ذلك إجابته عن صحة هذه العبارة : (اجعل بينك وبين الله صلةً ، واجعل بينك وبين الرسول صلةً) حيث قال :

«الذي يقول : (اجعل بينك وبين الله صلة) أي : بالتعبُّد له ، و(اجعل بينك وبين الرسول ﷺ صلةً) أي : باتِّباعه . فهذا حقٌّ . أما إذا أراد بقوله : (اجعل بينك وبين الرسول ﷺ صلةً) أي : اجعله هو ملجأكَ عند الشدائد ، ومُستغاثك عند الكُرُبات؛ فإنَّ هذا محرَّم ، بل هو شركٌ أكبرُ ، مُخرجٌ من الملَّة» .

وكما في إجابته عندما سُئل عمَّن يقول: (أحبَّائي في رسول الله)؛ حيث قال:

«هذا القولُ وإنْ كان صاحبه فيما يظهر يريدُ معنى صحيحاً؛ يعني أجتمع أنا وإياكم في محبة رسول الله ﷺ ، ولكن هذا التعبيرُ خلاف ما جاءت به السنة؛ فإنَّ الحديث «مَنْ أَحَبَّ في اللهِ وأبغضَ في اللهِ».

وعندما سئل فضيلة الشيخ ـ رحمه الله ـ عن قول أحد الخطباء في كلامه حول غزوة بدر: (التقى إله وشيطان). فقد قال: بعضُ العلماء قد أفتى بأن هذه العبارة كفر صريح؛ لأنَّ ظاهر العبارات إثبات الحركة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ أجاب بقوله:

«لا شك أنَّ هذه العبارة لا تنبغي ، ولو أراد الناطق بها تنقُّصَ الله تعالى وتنزيلَه إلى هذا الحد لكان كافراً ، ولكنّه حيثُ لم يُردْ ذلك نقول له: هذا التعبير حرام. ثم إنَّ تعبيره به ظانّاً أنه جائز بالتأويل الذي قصده فإنه لا يأثم بذلك لجهله ، ولكن عليه ألا يعود لمثل ذلك».

ثم يعقّب ـ رحمه الله ـ على من أفتى بكفر قائل هذه العبارة ، فقال:

«وأما قول بعض العلماء: (بأنّ هذه العبارة كفر صريح) ، فليس بجيّدٍ على إطلاقه».

ومما شاع بين الناس من ألفاظ ظنُّوها منكرةً ، ولا يجوز تداولها: قولهم في حقِّ الميت: (فلان المرحوم) ، و(تغمده الله برحمته) ، و(انتقل إلى رحمة الله). لكنّ الشيخ يرى أنه لا بأس بها؛ لأنَّ قولهم هذا يكون من باب التفاؤل والرجاء ، وليس من باب الخبر ، وإذا كان من باب التفاؤل والرجاء ، فلا بأس به.

وأختم بما أجاب به ـ رحمه الله ـ عن استعمال كلمة (صدفة)[1]؛ حيث قال:

«رأينا في هذا القول أنّه لا بأسَ به ، وهذا أمر متعارف ، وأظنُّ أنَّ فيه أحاديث بهذا التعبير ، صادفنا رسول الله ﷺ ، لكن لا يحضرني الآن حديث معين بهذا الخصوص.

والمصادفة والصدفة بالنسبة لفعل الإنسان أمرٌ واقع ، لأنَّ الإنسان لا يعلم الغيب ، فقد يصادفه الشيء من غير شعور به ومن غير مقدِّمات له ولا توقُّع له».

* * *

---

(١) كلمة صدفة خطأ لغوي شائع ، والصواب مصادفة ، والشيخ رحمه الله يتكلّم على جواز استعمالها شرعاً لا لغة (ن).

٣٧ ـ المنتقى من فرائد الفوائد

درج العلماءُ قديماً وحديثاً على تدوين بعض الفوائد المهمة مما يطالعونه في بطون الكتب أو في أوراق خاصة ، سمَّاها بعضهم «الكشكول» ، أو «السفينة» ، أو«الكُنَّاش» ، أو «التذكرة» ، أو«المِخْلاة».

ويُلاحظ على هذه المدونات أو المذكرات أنّه لا رابط بينها ، أي أنها لا تحوي موضوعاً واحداً متسلسل التبويب والترتيب والتصنيف ، بل تجدُ فيها موضوعاتٍ شتَّى ، وفي أماكن متفرقة من الكتاب ، إذ إنَّه كلَّما وجدَ صاحبُها فائدةً في كتاب ما دوَّنها في كشكوله أو كُناشه ، دون أن يضمَّها إلى مثيلاتها من الفوائد من حيث الموضوع. فلا تجدُ فصلاً أو باباً في الطهارة ، ثم باباً في الصلاة ، وآخر في الزكاة. بل إنّكَ تقرأُ بيتاً من الشعر ، ثم يليه فائدة مستلَّة من كتاب في المواريث ، تليها أخرى في ترجمة أحد العلماء ، وهكذا.

والقراءةُ في مثل هذه الكتب فيها كثيرٌ من الفائدة ، وكثيرٌ من المتعة والتشويق ، إذ إنها تنتقل بالقارئ بين رياضٍ من المعارف ، لا توجدُ في كتاب واحد. إلاَّ أنَّه يصعب الحصول على فائدة بعينها إلا من خلال استعراض كامل الكتاب ، أو بوجود فهرس مفصّلٍ لكل الفوائد المتضمَّنة فيه.

وشيخُنا ـ رحمه الله ـ حذا حذو من سبقه من العلماء في ذلك ، فجمع ما جمع من فوائد في كتاب واحد ، سمَّاه «**المنتقى من فرائد الفوائد**» ، وقال في مقدمته:

«فقد كنتُ أقيِّد بعض المسائل الهامة التي تمرُّ بي ـ حرصاً على حفظها ، وعدم نسيانها ـ في دفتر. وقد انتقيت منها ما رأيتُه أكثر فائدةً ، وأعظم أهميةً».

وكلامه هذا يدل أنَّ ما كان جمَعه من فوائد أو فرائد هو أكثر ممَّا انتقاه في هذا الكتاب بكثير؛ فهو هنا ينتقي من الجواهر أغلاها وأجملها عنده ، كما يُنتقى الطيب من التَّمر .

وهو ـ رحمه الله ـ يرى أنَّ في مثل هذا العمل نفعاً عظيماً لا يقفُ عند صاحبه ، بل إنَّه يتعدَّى إلى غيره ممن يطالعه ، بل إنه يحثُّ طلبة العلم على مثل هذا العمل ، فيقول :

«أسأل الله تعالى أن ينفع به ، وأن يجعلَ لطلبة العلم فيه أسوةً ، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سنةً حسنةً ، فله أجرُها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» .

وهذا الكتاب لا يختلف ـ في مجمله ـ عن نمط الكتب المجموعة في بابه ، فهو يحوي موضوعات شتَّى ، فتجد فيه مسائل في الفقه ، وأخرى في أصوله ، وكذا في تفسير بعض الآيات ، أو التعليق على بعض الأحاديث النبوية ، كما تجد فيه بحثاً في مسألة لغوية أو نحوية أو إعراب جملة ما ، وتقرأُ فيه أيضاً مسائل في العقيدة ، أو حدثاً تاريخياً ، أو ترجمةً لعلم من الأعلام ، أو عجيبة من العجائب .

أما مصادر المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب ، فهي متنوعة متعددة ، لكن يلحظ أن كثيراً منها هي من كتب الحنابلة ، خصوصاً كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن القيم ، عليهما رحمة الله .

وبعضُ الفوائد دوّنها من إملاء شيخه العلامة محمد الأمين الشنقيطي عند دراسته عليه ، أو من كتبه المؤلَّفة ، مثل تفسيره «أضواء البيان» .

كما نجده دوَّن بعض الفوائد ممَّا قرأه من الصحف والمجلات التي كانت تصدر في وقته ، فهو ينقل عن صحيفة «الندوة» السعودية ، ومجلة «التمدُّن الإسلامي» ، ومجلة «المنار» ، أو مجلة لا يسميها ، كما يقول : وجدت في مجلة حديثة . . .

ولم يلتزم الشيخ بمنهج واحد في توثيق الفوائد من مصادرها التي استقاها منها؛ ففي بعض الأحيان يذكرُ اسمَ الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة ، مع ذكر الطبعة التي رجع إليها ، وأحياناً يذكر اسم الكتاب فقط ، وفي بعض الأحيان يحيلُ إلى قول المؤلف دون ذكر اسم كتابه.

وكثير مما ورد في الكتاب هو خلاصة قراءات الشيخ ومطالعاته ، وما أدَّاه إليه اجتهاده في مسألة ما.

* * *

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

التعريف بمؤلفاته

٥٩ ـ ١٦٣

* * *